

محمد متولي

الطبعة
4

بريود

صمت أنثوي صاخب



wondershare™



PDF Editor



بريود ondershare™

PDF Editor

محمد متولي

بريود



wondershare™

صمت أنشوي ماخب

PDF Editor

الإهداء

إلى ذلك المكان الدافئ
القادر دومًا على احتواء كوني بنزقه وحزنه

إلى حضن أمي
حيث كانت بداياتي



wondershare™

PDF Editor

الفهرس

Concert	11
صمت الجدران	19
صورة	23
لوح ثلج	27
Hypotension	31
نقطة على الطريق	35
لما يحصل نصيب	39
Period	51
أمنية	57
نافذتان	61
اليوم الأول	65
Invisible	69
شرفة نصف مغلقة	73
لعنة	75
بقايا حلم	79
قلب فارغ	83
سفينة بلا شراع	87
شباك قديم	93



wondershare™

PDF Editor



wondershare™

PDF Editor

Concert

تصل إلى القاعة قبل موعد الحفل بدقائق قليلة. تنتقي مقعدًا في أقصى اليمين يُمكنها من رؤية المسرح كاملاً. ضوء خافت ينبعث من المصابيح المُسلَّطة على المسرح الخالي. تشعر بالراحة في الركن المُظلم وهي تجلس وحيدةً بين همهمات الحضور وضحكاتهم. ليست معتادة على الذهاب إلى المسرح بمفردها، لكن لم يكن لديها الرغبة في البقاء بالمنزل ليلة الخميس، ولم تجد في صديقاتها من تريد حضور حفل غنائي لمطرب شاب يغني بالإنجليزية، فقررت المجيء وحدها لاستكشاف ذلك الصوت الجديد.

يُضيء المسرح، ل يبدأ العازفون في الظهور مُتخذين أماكنهم وسط تصفيق الحضور... ثم يظهر هو، وسيم، شديد الوسامة، يبدو أجمل من صورته على الفيس بوك. يبدو عليه صِغَر السن، قد يكون في الرابعة أو الخامسة والعشرين. يرتدي قميصًا أبيض و"بنطلون جينز" في غاية البساطة. يُحيي الجمهور بتلقائية شديدة وكأنهم أصدقاؤه أو زملاؤه في العمل. يبدو وجوده في المسرح كوضع طبيعي مألوف لديه. يتحرك بسلاسة وكأنه في غرفته. ينزع الميكروفون من الحامل ويوجّه حديثه إلى الجمهور بالإنجليزية المصحوبة بلكنة أمريكية واضحة:

"مساء الخير، وشكرًا على حضوركم. قبل أي شيء اسمحوا لي أن أتناول مشروبي المفضل أثناء الغناء، وهو الشاي. أحب الشاي كثيرًا ولا أستطيع أن أتوقَّف عن تناوله حتى وأنا نائم. المهم، سأغني اليوم أغنيات كثيرة بعضها من تأليفي وتلحيني وبعضها لنجوم وفنانين عظماء يشرفني أن أغني أعمالهم. والآن فلتستمعوا بوقتكم."

11 ↓

ينهمك في ضبط أوتار الجيتار المعلق على كتفه، ثم يُعطي إشارة للعازفين فتبدأ الموسيقى. لا تستطيع أن تحوّل نظراتها عنه، حتى قبل أن يبدأ في الغناء.

”ليجمع أحدهم قطعي
فأنا متناثرٌ في كل مكان
ليجمعني أحدهم مرةً ثانيةً
ويضعني في مكانٍ ما“

12
↑

يُغمض عينيه وكأنه في حالة من النشوة. يأتي صوته تاركًا شعورًا غريبًا داخلها.

”لا تتبعني خطواتي
لا تسيري على طريقي
الطريق ضيق جدًا
لا يتسع لاثنين
وقد تخدعك الخطوات
لتنظري أحدهم ليجمع قطعك
المتناثرة في كل مكان“

قطع متناثرة! هي بالفعل قطع متناثرة لا تستطيع جمعها ولا تجد من يجمعها، تحاول مرات عديدة أن تضع صورة مُحددة لها ولشخصيتها وطموحها فتشئت وتتوه في التفاصيل. ماذا تريد؟ طموحًا وظيفيًا، مألًا وسلطةً، أسرةً وأطفالًا، بيتًا كبيرًا وحديقةً وكلبًا غزير الشعر، رحلات إلى

Wondershare™
PDF Editor

أوروبا وشواطئ الكاريبي، أم رجلاً حنوناً دافئاً وإن لم يملك المال الكافي
لهذه الأحلام؟

”و حين تُمطر السماء
سأخذك بين ذراعي
وسنمشي ونرقص
وكأننا ملكنا العالم
فأنت معي وأنا معك
تُغلفنا الأمطار“

و كأنه يستقي كلماته من أفكارها السَّجينة داخلها. تفاصيلها شديدة
الخصوصية تتحوّل إلى أغنية تأتي إليها محمولةً بصوته فتراها أمامها.
ترتجف وكأنها تمشي في ليلة باردة مُمطرة. تنسى أنها جالسة في القاعة
المُظلمة والوقت ليس شتاءً. مصباح وحيد خافت يوجه ضوءه إلى وجهه.
ترى عينيه تنظران إليها. تشعر بذراعيه تلتفان حولها. يحملها فتلتصق
به. تشعر بدفء جسده يغمرها. فوقهما سماء تتناثر فيها نجوم متعددة
الألوان والأحجام. تتساقط الأمطار فيُحيطها بجسده وينظر في عينها.
تشعر برغبة قوية في أن تهمس في أذنه أن يبقيها ملتصقة به إلى الأبد،
وأن يُبقي تلك النظرة في عينيه. يجذبها فتتمايل مع خطواته، وكأنهما
ملكا العالم... تغلّفهما الأمطار.

تُضيء القاعة ويعلو صوت التصفيق فتُفريق على سقف القاعة الخالي
من النجوم وعلى جفاف ملابسها وبرودة مُكيّف الهواء.

”الأغنية القادمة من تأليفي وتلحيني، وهي أغنية تحمل معاني
خاصة جداً لي. أهديتها إلى شخص ليس هنا رغم أني لا أتمنى شيئاً غير
وجوده... هنا... الآن...“

١٧٥

PDF Editor

فتاة. بالطبع يقصد فتاة. حب قديم ونهاية مؤلمة، أم قصة جديدة
تحاول أن تجد مكانًا في حياته؟

يزداد اضطرابها، لا تستطيع الانتظار حتى تنتهي المقدمة الموسيقية.
تود لو كانت الكلمات تحمل وداعًا وفراقًا وألمًا.

”تبتسم في كل لحظة

وحين تمشي تنظر عيناها في كل مكان

وحين تنتهي ينتهي كل شيء

تأخذ قلبها وترحل

وكانها لم تكن هناك

ولكني مُتَعَب منذ أن رأيتها

أنا لا أعرف حتى اسمها

وإذا كانت لا تشعر بما أشعر به

فأنا بخير

تُبَلِّغها قطرات المطر

فتنبت الأزهار في شعرها

تبكي حين يموت البطل

وحين تنتهي ينتهي كل شيء

تأخذ قلبها وترحل

وكانها لم تكن هناك

لكنني مُتَعَب منذ أن رأيتها

14
↑



wondershare™

PDF Editor

أنا لا أعرف حتى اسمها
وإذا كانت لا تشعر بما أشعر به
فأنا بخير“

يضطرب جسدها ويعلو صوت نبضات قلبها، فلا تسمع باقي
الكلمات. تنتظر حتى تنتهي الأغنية وتغادر القاعة.

يقف في جمع يتبادلون كلمات التهنية والشكر. يُغرق وجهه خجلٌ
طفوليٌّ ممزوجٌ بسعادة. تضيق عيناه مع ابتساماته وكأنهما غير قادرتين
على احتمال كلمات الثناء المنهمرة عليه. تجد نفسها فجأةً أمامه
فتنصب نظراته عليها وينفرج فمه بابتسامة عريضة وكأنه يعرفها من
قبل. يتأكد لديها شعور بأنهما قد التقيا في حيوات سابقات. تجد نفسها
بين ذراعيه. يضمها إليه، تنتقل إليها نبضات قلبه المتسارعة فيصدمها
إقدامه وجرأته. تنتزع نفسها من بين ذراعيه وتتنظر إليه بدهشة.
يبتسم قائلاً:

- ميرسي إنك جيتي. عجبك الكونسيرت؟

↓
15

تنظر إليه، ولا تقوى على الحديث، تبحث عن الكلمات فلا تجدها،
تحاول جمع شتاتها، بينما يتلعبها بنظراته المبتسمة. يُدير وجهه في
غضب مُصطنع قائلاً:

- ياه! هو أنا كنت وحش أوي كده؟

- لا، بالعكس، انت... انت رائع بجد... رائع.

يضحك خجلاً، فيصطبغ وجهه بحمرة تزيد من جاذبيته.

- ربنا يخليك. مبسوط إني شفتك.



wondershare
PDF Editor

يختفي من أمامها ويتوه في زحام الوجوه المحتشدة تاركًا بقايا عطره
ودفته عالقين بها. تغادر المسرح بخطوات سريعة مضطربة. لا تعرف
ماذا حدث لها وكيف انتهت بين ذراعيه ملتصقةً بقلبه. ثوان قليلة
قضتها في ذلك الالتصاق العجيب عَلِقَتْ في ذاكرتها كحلم واضح المعالم.
مضت صوب سيارتها محاولةً تفادي أصوات تأتي من داخلها تجلدها
بالأسئلة. كيف انتهى بها حفل موسيقي إلى ذراعي رجل!

٦
٦

تضطرب خطواتها وتغيم الرؤية مع دموعها المنهمرة. تلقي بجسدها
اللاهث داخل سيارتها في عنف مؤلم. تحاول أن تتمالك نفسها لتدير
محرك السيارة وتفر مبتعدةً عن كل ما حدث، فلا تستطيع. تود لو
امتلكت القدرة على إزالة هذه اللحظات من ذاكرتها. تتوآب داخلها
الأسئلة بإصرار. لماذا لم تدفعه بعيدًا حين اقترب منها؟ ولماذا استكانت
في ذراعيه باستسلام؟ لماذا لم يمنعها التزامها من هذا الالتصاق؟ ولماذا
تود أن تعود إلى ذراعيه لتختطف المزيد من اللحظات معه؟ ينتفض
جسدها في بكاء صاخب ثم تدير محرك السيارة وتنطلق مُسرعةً.



wondershare™

PDF Editor



wondershare™

PDF Editor



wondershare™

PDF Editor

صمت الجدران

جدران بيتي لا زالت تسأل عنك، رغم أنها لم تعتد أن تسألني
عَمَّنْ جاءني، فهي لا تُرهقني بالأسئلة، ولا تنتظر مني المبررات، ولا
تتهمني أو تنتقدني كما يفعل البشر. جدران بيتي كتومة لا تُفصح
عَمَّا ترى، ولا تُعيد عليَّ ما رأت أو سمعت. تسمع أحاديثي المنفعلة
وضحكاتي الصاخبة وشجاراتي الوقحة فلا تطلب تفسيرًا. تراني عاريةً فلا
تخجل، تراقبني في أحضان شبقة مجنونة، تسمعني أتأوه في لقاءات
الجنس المحموم فتقرب في صمت إلى أن رأتك.

لقد أصابها ذات الشغف الذي أصابني حين أقبلت عليَّ في صباح
ربيعي جميل، تمشي بخطى مسرعة للقاء، تحيط بك تلك الهالة الملونة
بألف لونٍ لم ترهم أعين البشر بعد. رأيتك مُحاطًا بغمامة من حزن
سنوات تُخفيه في أقبية مظلمة داخل نفسك كأحد الكنوز القديمة التي
تحمل أسرار الكون. ولوهلة رأيتني أسيرُ في مكان مدهش بين أمواج
من البشر في أودية غريبة، يتدافعون إليك حاملين آلامهم وأوجاعهم
وشياطينهم. ومن مكانك البعيد تقف كصورة عبقرية للجمال، وأكاد
أسمعك تهتف بالعالم أن: "تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين وثقيلي الأحمال
وأنا أريحكم". ولم تر تلك الرَّجفة التي سرت في حين حملتك خطواتك
إليَّ، ولا تلك القبضة المؤلمة التي اعتصرتني حين صافحتني. لم يبدُ لك
منِّي إلا ابتسامة مُرحبة في وجهه تبتلعه نظارة داكنة تُخفي نظرات
تشتهي أن تلتصق بك كالتصاق أمٍ برضيعها في ساعاته الأخيرة.



9
7

PDF Editor

شعرت بفضولها في ذلك اليوم حين دعوتك إلى بيتي. فقد رأنتني أبدأ مبكرًا في اختيار ثوبي، أضع ثوبًا ثم أنزعه بضيق، وألقيه لأضع غيره. ثم رأنتني أعيد ترتيب أثوابي المبعثرة لأرتدي ثوبًا منزليًا بسيطًا لا يُظهر وجهي ولا جسدي. سمعتني أسأل نفسي ولماذا لا يراني كما أنا؟ بسيطة وعادية أجلس في بيتي وكأنني لا أنتظر أحدًا؟ سأترك شعري في عفوية غير منتظمة، لن أغير شكله ولن أروّض خصلاته الجامحة. لن أصبغ شفتي ولن أطلي أظفاري، فليراني كما أنا، ولن أضع عطرًا، فليشم رائحتي كما هي، وإذا لم تعجبه فليرحل.

20
↑

و حين جئت شعرتُ بجدران بيتي تود أن تسألني عنك... من هذا الرجل العجيب الذي لم أره من قبل؟ ومالكِ ترتجفين؟ وما سر ذلك الوميض الصادر من عينيك؟ ولماذا تتجنين النظر في عينيه؟ ولماذا تذهلين حين يصوب نظراته إليك؟ ولماذا يُشرق وجهك حين تفرج شفتاه عن ابتسامة صغيرة؟ ولماذا تتحدثين معه كصديق قديم؟ مال حواركما الطويل لا ينتهي؟ ومتى سيجردك من ملابسك وتجردينه من ملابسه حتى أراكما في نزوة شبقية يتصارع فيها جسداكما في ظمأ محموم، ويعلو فيها صوتك كما يحدث مع الآخرين؟ ها أنتما تهضان إلى الفراش... لقد استلقى وحده... بملابسه! وأنت ما زلتِ في مقعدك تقرئين.

ها أنتِ تتسللين إلى جواره، ترقدين بجانبه، تراقبين وجهه النائم. تمر الساعات وأنتما هكذا كلوحة من عصر قديم. تداعين شعره برفق؛ تُقبّلين وجنته ببطء وحذر حتى لا توقظه لمسة الشفاه. ثم تندسين تحت الغطاء لتحيطيه بذراعك حتى الصباح، دون عري أو جنس صاخب، ثم تنهضان معًا وتجلسان في الشرفة تتحدثان، ثم تخرجان لتعودي وحدك! هل ضايقتك؟ هل زهدتبه كما زهدت الكثيرين قبله؟ لماذا إذاً لم يأت آخرون؟ تمر الأيام وفراشك لا يأوي إلا جسّدك وحيدًا. ما هذا الصمت

PDF Editor

والوجوم؟ وما هذا الحزن المقيم؟ أتبكين؟ سنوات معًا لم أركِ هكذا...
تسألني الجدران وتظل تسأل، فلا أجيب إلا بصمت كصمتها القديم.
ليتني كنت جدارًا فأحمل صورتك!

21 ↓



wondershare™

PDF Editor



wondershare™

PDF Editor

صورة

- ماما ... عايزة أقص شعري زي ميچ رايان.

- مين؟

- ميچ رايان يا ماما! ممثلة أمورة أوي بموت فيها.

- بس يا بت بلاش هبل. ممثلة إيه دي اللي عاوزة تقليديها؟ إنتي كده أمورة وأحلى منها كمان.

- يا سلام؟ هو حضرتك تعرفيها أصلاً؟

- بلاش دلح. حد يبقى شعره حلو وناعم كده ويقصه؟

- يا ماما أنا عاوزة أقصه. مش هو شعري؟

- واضح إن الذوق مش نافع معاكي. مش هتقصي شعرك وهي كلمة واحدة.

- واشمعنى حمادة بيعمل اللي على مزاجه؟

- أخوكي راجل يعمل اللي هو عايزه.

- وفيها إيه يعني لما أقص شعري؟

- بقول لك إيه؟ أنا مش فاضية للدلع ده. قومي ذاكري وبلاش كلام فارغ.

↓
23

PDF Editor

- حمادة... عارف ميچ رايان؟

- طبعًا.

- بتحبها؟

- بموت فيها، دي مُرّة موت.

- إيه رأيك أقص شعري زيها؟

- لا طبعًا.

- ليه؟

- وتقصيه ليه أصلًا؟ إيه العبط اللي انتي فيه ده؟

- عبط ليه بقى إن شاء الله؟

- يا بنتي دي ممثلة، عارفة ممثلة يعني إيه؟

- وإيه المشكلة؟

- اوعي كده أنا مش فاضي لدلع البنات ده.

- أوف!

- واضح إن الفيلم عجبك قوي. ده انتي ما كنتيش حاسّة بيّ خالص ولا بتردّي عليّ.

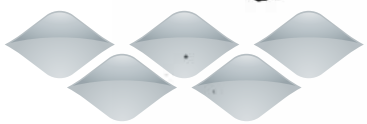
- آه، معلش يا حبيبي، أصلي بموت في ميچ رايان.

- لذيذة، أنا كمان بحبها.

- بفكر أقص شعري زيها.

- اوعي.

24
↑



wondershare™

PDF Editor

- ليه؟ انت مش لسه قايل إنك بتحبها؟

- أيوة بس أنا مش بحب الشعر القصير. ده أحلى حاجة في البنت شعرها. أمال الرجالة يعملوا إيه لما البنات يقصوا شعرهم؟

- بس أنا نفسي أقص شعري زيها.

- بعدين إحنا مش اتفقنا إنك هتتجبي؟ أنا قلت لك لازم مراقي تبقى محجبة. جوزك بس هو اللي من حقه يشوف شعرك.

- على رأيك.... أقصه ليه بقى!

مهمة عمل طويلة في الخارج. لن يراني عامًا كاملًا. حان الوقت لتحقيق ذلك الحلم البعيد. سأقص شعري مثل ميغ رايان. سأملكه عامًا كاملًا. لن يراه أحدٌ غيري، سأخفيه عن الجميع وأستمع به وحدي. سأقصه ولن يملك أحدٌ الحق في الاعتراض. إنه شعري أنا!

مُصَفِّ شعري في حي بعيد، به قسم خاص بالمحجبات. تدخل بهدوء، وداخلها رهبة، وكأنها مُقْبِلَةٌ على اختبار مضيري. تجلس منتظرةً دورها، مُحاولَةً تفادي النظر إلى وجوه الجالسات، اللاتي يتفحصنها في فضول لم يلفت نظرهما قبل اليوم. تنكمش في مقعدها وتُحاول طرد خيالات وهميةً مخيفةً. تُخرج صورة ميغ رايان من حقيبتها وتتفحصها في خوف مشوب برجاء. تنهض إلى الحمام في خطوات سريعة مضطربة. تُغلق الباب بإحكام وتتفحص وجهها في المرآة. تخلع الإيشارب وتنزع المشبك الصغير فيسترسل شعرها كشلال أسود يندفع في صمت. تنظر إلى صورتها في المرآة، ثم إلى صورة ميغ رايان. تتفحصهما للحظات، ثم تُعيد إخفاء شعرها في عصبية.... وتخرج مُسرعةً.



٥
٢

PDF Editor



wondershare™

PDF Editor

لوح ثلج

فرقٌ كبيرٌ بيننا... فرقٌ كبيرٌ بيننا يا حبيبي! مُقيدةٌ أنا بألف قيد
وأنت حُرٌ طليق لا تعرف القيود. تنساب منك كلمات الغزل كما تنساب
الثلوج من فوق قمم الجبال، مُذابةً بحرارة شوقك ورغبتك التي لا لومَ
عليك إن أطلقتها وأرسلتها في نظراتٍ وكلماتٍ ولمساتٍ. أما أنا فحياء
البتت يمنعني من أن أبادلك غزلاً بغزل. أراك جميلاً كما تراني جميلة.
رجولتك تُثيرني... تُثيرني نظرات الرغبة في عينيك.

أحب شفتيك الممتلئتين، وأحب تلك الشعيرات المُحيطة بهما كسياجٍ
من شوكٍ يحميهما من قُبلاقي التي أبذل جهداً كبيراً لأقاومها. يغمرنني
الفضول أن أعرف كيف تكون القُبلة بيننا! بماذا سأشعر حين أقبلك...
حين ألثمُ شفتيك؟ وذلك السياج من الشوك المحيط بهما، هل سيؤلمني
أم سيزيد من رغبتني فأنقضّ عليهما بشراهة أكبر؟

↓
27

حتى حركاتك الا إرادية تُثيرني، تُمسِكُ بعلبة سجائرك فأتخيِّلك
تعتصرني بذراعيك، تُخرج سيجارة بعفوية فأتخيِّلك تجرُّدني من ملابسِي،
تضعها بين شفتيك فأتمنى أن أكون سيجارة، تأخذ نَفْسًا بعمق وتلذِّذُ
فأتخيِّلك تحاول أن تلعقني.

خيالات كثيرة تُراودني وأنا معك، وأنا وحدي، في فراشي، لكن يمنعني
الحياء، يَقيدني الخجل، تُغرقني بكلمات الغزل، فأود أن أخبرك أني أيضاً
أراك جميلاً فاتتاً، فلا أستطيع، تتوه الكلمات على فمي، تطير فلا أقدر
على اللحاق بها، وأنظر إليك صامتةً. تتهمني بالبرود، وأنني لا أحبك...

PDF Editor

تصرخ في وجهي:

”إنتي إيه؟ لوح تلج؟ دي البنات هتموت عليّ وانتي ولا انتي هنا!“
لا يا حبيبي، أنا هنا... أنا أيضًا ”هموت عليك“ وربما لو عرفت
ما يدور داخلي لصفعتني على وجهي وفررت مني. أنا أيضًا أشتهيك،
أريدك، لكني أعرف كيف أبدو كلوح تلج كما وصففتي.

فرق كبير بيننا، فأنت رجل وأنا بنت، وليس للبنت في مجتمعنا
أن تبوح بما تشعر به لمن تحب، مخزون بعمر آلاف السنين يفرض
على البنات ألا تبوح بمثل هذه الأشياء، ليس للفتاة أن تصرّح برغباتها،
أن تُعلن اشتهاها لرجل، كنتُ أرى إخوتي يصرّحون علنًا بإعجابهم
واشتهائهم للنساء فيجاريهم أبي وتبتسم أمي سعيدةً بهم، ولكن عندما
أعبر عن إعجابي بأحد الممثلين تنهرني بشدة، كأنني ارتكبت جريمة.

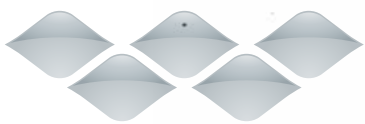
أنت رجل في بلد يقُدّس الرجال ويكره النساء. أنت رجل في دين يأمر
المرأة أن تُخفي نفسها، وشعرها، وعِطرها، ويبيح للرجل أن يمشي عارياً
ممشوقاً متعطرًا، في كامل زينته.

في بلادنا يا حبيبي يجب أن تختفي المرأة ويظهر الرجل. في ديننا
الرجل كنز والمرأة عورة. في مجتمعنا تُلام المرأة على خروج آدم من
الجنة، وفي ديننا أكثر أهل النار من النساء. في مجتمعنا تُلام المرأة حين
تُبدي جمالها فتسبب في الزلازل والبراكين! فماذا لو أبدت رغباتها؟

فأنا مُقيّدةٌ بألف قيد، تقاليد وعُرف ونشأة ودين. أشعر بكل ما
تشعر به، لكن ما تُعلنه أنت أخفيه أنا. لستُ لوح تلج، لكني امرأة في
بلد الرجال!

wondershare

PDF Editor



wondershare™

PDF Editor



wondershare™
PDF Editor

Hypotension

ضغط منخفض

أجلسُ جوارك في السيارة، الجو حارٌ، أشعر بضغطي ينخفض تدريجيًا، تعلم أنني لا أحتمل الحرارة، مكيّف السيارة مُعطل منذ أسابيع لم أعد أذكر عددها!

ضغطي المنخفض يجعل مني مرتعًا لأعصابي المتوترة، مُنهكة، تتعالى الصّرخات داخلي، لكنها لا تقوى على الخروج.

يرنُّ هاتفك المحمول بنغمة رتيبة مُزعجة، أشعر به يرنُّ في رأسي. مخي يكاد أن ينفجر. تستمر في القيادة بيد واحدة، تعلم كم أكره هذا التصرف، وأكره كسر القوانين، خاصةً ما يتعلق بالأمن والنظام.

تزعجك ضوضاء الشارع فتُغلق زجاج النوافذ بضغطة عنيفة على زر الإغلاق الإلكتروني، تُغلق نافذتي، تسلبني حقي الآدمي في التنفُّس، تتحول السيارة إلى تابوت حار خانق. أشعر أنني سأموت، أحاول جاهدةً التشبُّث ببقايا وعي مُصرِّ على الرحيل، بينما يهدر صوتك صارخًا:



”ليه؟ هي شركة أبوه؟ وحياة أمه لأوريه who is the boss ابن الكلب ده“

7
M

تذهلني قدرتك على مزج إنجليزية سليمة أنتجتها مدارس أجنبية وجامعة أمريكية مع لغة سوقية لا أدري من أين اكتسبتها!

يتباعد صوتك الغاضب مع وعيي المتلاشي وضغطي الآخذ في الانخفاض، تتداخل الأشكال من حولي مكونةً دوّامات لامعة كبيرة، أشعر كاني أتأرجح في حركات حلزونية، صغير خافت يتسلل من أذني

PDF Editor

إلى أعماقي، يعلو تدريجيًا، تُظلم الدنيا من حولي، بحر مُظلم يبتلعني.
تضغط على فرامل السيارة بعنف فتتوقف مصدرهً صغيراً حاداً،
أندفع إلى الأمام، رغم حزام الأمان الذي يقيّدني بمقعدي جوارك، تُلقي
الهاتف من يدك وتفتح نافذتك صارخاً:

”يا ابن الشرموطة! ما هو الحق على البلد الوسخة اللي خلت البهايم
اللي زيك يركبوا عربيات.“

أستغلّ الفرصة لأحاول التقاط بضعة أنفاس، قبل أن تُغلق النافذة،
لتعاود حوارك الساخط. يُعاود ضغطي الانخفاض بإصرار عجيب، تزداد
كثافة الدوامات اللامعة، يشتد الإظلام وتُغلفني قطرات العرق البارد.
أشعر ببرودة، رغم إحساسي بحرارة الشمس على وجهي، نصل إلى المنزل،
توقف السيارة وتنظر إليّ قائلاً بعصبية:

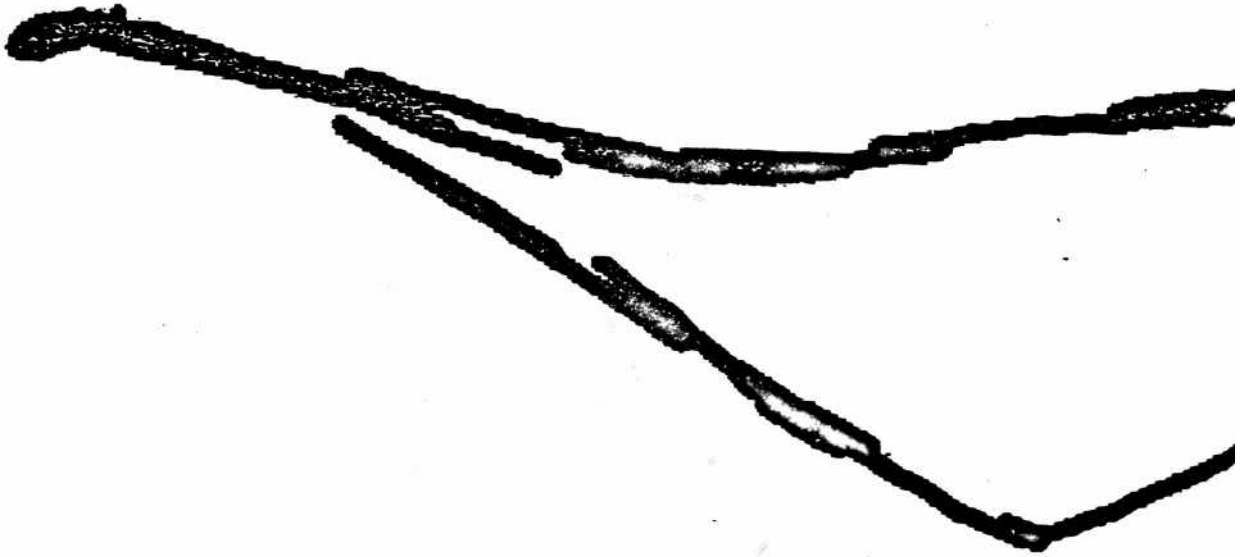
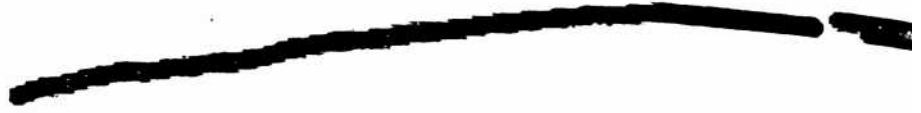
”في إيه؟ ما تنزلي..“

أرى وجهك المكفهراً تُغلفه قطرات العرق، تخترقني نظراتٌ ضيقٍ من
عينيك ثم... لا أشعر بشيء.



wondershare™

PDF Editor



wondershare™

PDF Editor



wondershare™

PDF Editor

نقطة على الطريق

تجلسُ جواره أمام الكمبيوتر، يُدْرِبها على نظام الاتصال الجديد. يضغط الأزرار بمهارة، شارحًا لها الرسائل التي تظهر على الشاشة وكيفية التعامل معها. تُنافسها شاشة الكمبيوتر في الاستحواذ على نظراته، تنتهز فرصة تركيزه ونظراته المثبتة على الشاشة وتتفحص وجهه. شعره الأسود مُصَفَّ بعناية في خصلات منتظمة لا تحمل لمعان الكريم أو "الجل"

تنظر إلى جبهته العريضة كصحراء شاسعة. عيناه تختفيان وراء زجاج النظارة، ولا ترى فيهما إلا نظرات تحمل الجدية والتركيز. أنفه يقف شامخًا كتمثال لأحد الطغاة. شفتاه الرفيعتان تنفرجان دون ابتسام. يستمر في الحديث الجاد بينما تستمر هي في النظر إليه، بدلًا من شاشة الكمبيوتر.

↓ لم تكن تنظر إليه، لكن إلى شفتيه، إلى الحسنه في الجانب الأيمن من شفته السفلى. لا تستطيع أن تحوّل نظراتها عن تلك النقطة السوداء الصغيرة. يستمر في الحديث والشرح، وتستمر في النظر والتحديث.

م تحمد الله أن الرجال غير قادرين على استيعاب فكرة أنهم مصدر إثارة مثل النساء، وأن تفاصيل في غاية الدقة قد لا يلاحظها الرجل في وجهه قد تُثير امرأةً إلى أبعد الحدود. لم يتصور هو أن نظراتها إليه موجّهة في حقيقة الأمر إلى تلك النقطة السوداء، والتي رغم سوادها نُضيء وجهه، بعكس قوانين العلم التي تخبرنا أن الأسود هو اختفاء كل

PDF Editor

الألوان، وأن الظلام ما هو إلا انعدام الضوء.

نقطة صغيرة لم يَلحظها الكثيرون، وهو لا يعرفُ كم هي جميلة ومثيرة وفاتنة. ودَّت لو أن باستطاعتها أن تلمسها، أن تتحسسها بإصبعها، بشفتيها. ملعونٌ ذلك التخصص الفسيولوجي السخيف، لماذا لا نستطيع اللمس بعيوننا ولا الرؤية بشفاهنا؟ لماذا يحتكر اللسان القدرة على التذوق؟ ولماذا الأذرع فقط هي القادرة على الاحتواء؟

36
↑

”انتي مش معاي خالص“

أفاقت على صوته يُنبِّهها، فأجابته في خجل:

”آسفة، سرحت في الجزء اللي فات، معلش ممكن تعيده تاني؟“

”طيب نستريح ونرجع نكمل؟“

”تمام“

”ليه غيرتي مكانك؟“

”مش عارفة، حاسّة إني هاركز أكثر وانت على يميني، يضايقك؟“

أجابها:

”لا، أبدًا... نكمل؟“



wondershare™

PDF Editor



Wondershare™

PDF Editor



Wondershare™

PDF Editor

لما يحصل نصيب

يجلسان في أحد الأماكن القليلة في القاهرة حيث توجد الخُصرة وشيء من الهدوء. يتفحصها بنظرات موجهة، لم يبذل جهدًا في محاولة إخفائها أو إكسابها شيئًا من العفوية.

تذكر إلحاح صديقتها:

”يا بنتي مش هتخسري حاجة. شوفيه، هيجصل إيه يعني؟ والله انتم لايقين على بعض قوي، انتي عارفة أنا بحبك قد إيه وأكيد مش هخليكي عملي حاجة ما فيهاش مصلحتك“.

تنتبه على صوته متسائلًا:

”ساكتة ليه؟“

تنظر إليه فترتطم بنظراته الحادة الفاحصة، تنظر بعيدًا في خجل. تكره تلك النظرات المنصبة عليها، وكأنه كائن عجيب له ألف عين تنظر وتراقب وتفحص وترقب. تشعر بالخجل، بالضالة، بالإهانة، تود لو امتلكت جرأة مماثلة حتى تتفحصه مثلما يتفحصها.

”تجبي تعرفي إيه عني؟“

تردد لبرهة قبل أن تجيب بصوت يكاد يكون مسموعًا:
”ما فيش حاجة معينة، يعني... أي حاجة. انت عاوز تتكلم في إيه؟“

”طيب بصي يا ستي، أنا عندي 28 سنة، مهندس في شركة إنشاءات، وعندي شغل خاص في مكتب صاحبي. بحب شغلي جدًا، وهو تقريبًا

بياخذ كل وقتي“.

يبتسم بقوة موجّهاً المزيد من النظرات إليها ثم يقول

”وانتي بقى كلميني عن شغلك“.

”أنا باشتغل في الHR“.

”إيه ده؟ غريبة، مروة قالت لي إنك كنتي معاها في الجامعة فأنا فهمت إنكم كنتم في نفس الكلية“.

”أيوه أنا ومروة مع بعض من أيام المدرسة، وكمان بنشتغل في نفس الشركة“.

”يعني انتي درستي كمبيوتر ساينس؟ أمال إزاي بتشتغلي في الHR؟“

”عادي! بعد ما اتخرجت اشتغلت شوية في الIT بس ما عجبنيش وبالصدفة كان عندي مشروع مع الHR عندنا في الشركة، ولما اشتغلت معاهم عجبنني شغلهم. بعد ما خلصنا عملت دبلومة في الHR ومن ساعتها وأنا في المجال ده“.

”بس مش خسارة سنين الجامعة دي كلها؟ كمبيوتر ساينس دي صعبة وأكيد أخذت منك مجهود كبير“.

ضيق أفق هذا أم لأنه يمارس عملاً مرتبطاً بدراسته فعلى كل البشر أن يفعلوا الشيء نفسه؟ همّت بالرد عليه مدافعةً عن قرارها، لكنها تذكّرت نصيحة مروة ”أبوس إيدك يا غادة عشان خاطري وحياتي بالراحة على الولد. بصي... هقول لك حاجة حلوة بس اوعديني إنك تعملها. أول ما تلاقي نفسك هتقولي رد احتمال يضايقه اسكتي شوية وفكري إزاي أقوله بطريقة لذيذة ما تضايقوش“.

تذكر وعدها لصديقتها فتختار الكلمات وتُجيبه: ”طبعا كلامك صح جداً ومنطقي، بس أنا شايفة إن أهم حاجة الواحد يكون مبسوط من



PDF Editor

اللي هو بيعمله، بغض النظر هو درس إيه وهل دراسته مرتبطة بشغله ولا لأ. يعني ده رأيي الشخصي ممكن يكون صح وممكن يكون غلط.

تشعر بالسعادة والفخر من لباقتها، وردّها الذي لا يُثير أي ضيق. تود لو كانت مروءة معها لترى قدرتها وتعرف أنها تُحسن الحديث.

”عندك حق، طبعا أهم حاجة إن الواحد يكون مبسوط، وواضح طبعا إنك مبسوطه في شغلك. يا ترى ليه؟“

”يعني بحب اللي بعمله وبحس إني بانجز وأؤثر في الشركة بشكل إيجابي.“

”غير الشغل بتقضي وقتك إزاي؟“

”يعني لما بكون فاضية بحب أقرأ.“

”بتقري إيه؟“

”بحب أقرأ الروايات والقصص القصيرة. بحب الكتابات اللي بتركز على الشخصيات والأبعاد النفسية للأبطال. يعني تأثير المواقف والأحداث عليهم وإزاي بيتفاعلوا معاها.“

”طبعا القراءة شيء مفيد جدا وضروري، بس يمكن أنا عندي نظرية غالبا مش هتعجبك.“

”إيه هي؟“

”بحس إن الكتاب بيوظوا عقول الناس.“

”إزاي؟“

لم تستطع أن تمنع نبرة الجِدَّة والرفض من التسلل إلى صوتها.

”يعني، بحس إن الحياة هي أكبر كتاب. لو بصينا حوالينا هنلاقي نفس اللي موجود في الكتب. هو أصلا اللي بيكتب ده بييجب قصص

وحكايات منين؟ ما هو من حياته. مش شايف لازمة إن الواحد يقرأ قصة علشان يفهم الدنيا والناس. هو لو صاحي ومرکز في اللي بيحصل حوالية هيفهم كل حاجة“.

”ومين قال إن الواحد يقرأ عشان يفهم الدنيا أو الناس؟“

”أمال انتي بتقرئي ليه؟ بتضيعي وقت؟“

”أكيد لا! عُمر القراءة ما كانت تضيع وقت! بالعكس، أنا بقرأ عشان بحب القراءة، بحب اللغة، بحب الكلمات، بحب الكتب. بحب الحالة اللي القصة المكتوبة حلو بتدخلني فيها. بحب أعيش مع الشخصيات والأحداث والأماكن. بحب أتخيل كل كلمة مكتوبة وأعيش كل حاجة، وكأني جزء من القصة مش بس بقرأها. الكتاب بالنسبة لي رحلة أو حالة مختلفة، حاجات كثير يمكن مش عارفة أشرحها بالكلام، بس انت أكيد كنت هتفهمني لو كنت بتحب القراءة“.

”أنا كمان بقرأ بس مش باستحمل الأدب والقصص والحاجات دي بصراحة. بحب مثلاً أقرأ في السياسة أو في الحاجات اللي ممكن تكون مش واضحة ومحتاجين نقرأ عنها عشان نفهمها، لكن قصة وأبطال وده بيحب دي ودي بتخون ده ما ليش في الجو ده“.

”ومين قال إن الأدب حب وخيانة؟ أنا قرئت روايات وقصص كثير جداً ما فيهاش ولا قصة حب أصلاً“.

”طيب خلاص يا ستي المرة الجاية هاتيلي معايي قصة حلوة على زوقك ولكي عليّ إني أقرأها ونتكلم فيها كمان لو تحبي“.

منعت نفسها بمعجزة من أن تجيبه:

”ومين قال لك إن هيكون فيه مرة جاية أصلاً؟ هو أنا مستحتملة الأولى تخلص عشان يكون فيه تانية وتالته؟ منك لله يا مروة“.

42
↑

PDF Editor

أخرستُ ذلك الصوت العنيد ورسمت على وجهها ابتسامة عريضة
بدت شديدة الاصطناع. عاود الحديث موجهاً المزيد من النظرات
الفاحصة وسألها:

”ممکن أسألك سؤال؟ هو ممکن يكون شخصي شوية“

”اتفضل.“

”هو انتي ليه محجبة؟“

”نعم؟“

”يعني ليه أخذتي القرار؟ وإزاي؟“

”أنا محجبة من أيام المدرسة من وأنا في تانية إعدادي، يعني من
زمان، وأخذت القرار في مرة كُتْنَا في حصة الدين، وكنا ساعتها بندرس آية
عن الحجاب فرُوِّحت البيت وقلت لماما إني عاوزة أتُحجَّب. بس ومن
ساعتها وأنا محجبة.“

”يعني انتي مقتنعة بالحجاب؟“

”أكيد طبعا، وإلا ما كنتش فضلت محجبة من تانية إعدادي.“

”أصل مروة مش محجبة مع إنها صاحبتك قوي.“

”هي حُرّة... أنا محجبة وهي لأ، وده أكيد ما لهش علاقة بصدافتنا.
هي فعلاً صاحبتي وأعز أصحابي بس ده مش معناه إننا زي بعض في
كل حاجة.“

”طيب ليه ما حاولتيش تأثري عليها؟“

”عشان أنا مش من حقي أوثر على حد! أنا ما حدش أثر عليّ وأخذت
القرار لوحدي وأنا مقتنعة بيه، وهي كمان لازم تاخذ القرار لوحدها
وتبقى مقتنعة بيه.“

↓
43



wondershare™

PDF Editor

بطارية الصبر التي لا تعرف كيف تُعيد شحنها بدأت في النفاذ. وودت لو كان بإمكانها أن تُنهي اللقاء بضغطة زر على جهاز "ريموت كنترول" فتُظلم الشاشة ويتوقف العرض ويختفي هو من أمامها. لم يبدُ عليه أنه يعلم شيئًا عن بطارية الصبر و"الريموت كنترول" السحري. عاود الحديث متسائلًا:

"وانتي ناوية تشتغلي لما يحصل نصيب إن شاء الله؟"

يحصل نصيب؟ نصيب إيه؟ وإزاي؟ ويحصل فين ولمين وإمتي؟ ما أسخف هذه العبارة! وماذا تعني؟

لما يحصل نصيب؟ هل يقصد بعد أن تتزوجه؟ هل من الممكن أن تصل الثقة بالنفس إلى هذا الحد من الغرور؟ ما هذه الثقة المطلقة في قدرته على إبهارها؟

"استهدي بالله يا غادة، وعدّي اليوم ده على خير، وقعتك سودا يا مروة".

"طبعًا هاشتغل لأن شغلي ده أهم حاجة في حياتي، زيك كده بالظبط، ومش مطروحة فكرة إني أسيبه بعد ما أتجوز".

أصرت على استعمال كلمة أتجوز وليس "لما يحصل نصيب" وكأنها تُبرز له اختلافهما، حتى في المسميات.

ظلت نظراته الفاحصة مُسلّطة عليها وقد بدت باردةً بعض الشيء. وودت لو أنهى اللقاء معترفًا باختلافهما، لكنه أجابها بصوت بدا لها أن شيئًا من الجِدَّة قد بدأ في التسلُّل إلى نبراته:

"بس مش شايفة إن الشغل هياثر على حياتك بعد الجواز؟ يعني على جوزك والبيت والأولاد؟"

أجابته في جِدَّة لم تحاول إخفاءها:



PDF Editor

”والله أنا شايفة إن كل واحد عارف قدراته وعارف إزاي يوظف وقته وأولوياته. اليوم فيه 24 ساعة، كفاية لحاجات كثير وأنا عارفة نفسي كويس هاعرف أوفق بين حاجات كثير.“

”بس انتي قلتي حاجة خطيرة جداً“

”هي إيه؟“

”انتي قلتي أنا زيك شغلي أهم حاجة في حياتي. أنا ما عنديش مانع طبعا إن شغلك يبقى أهم حاجة في حياتك، بس ده وانتي لسه ”سينجل“ لكن بعد الجواز الدنيا بتختلف، ولا هيفضل برضه أهم حاجة في حياتك؟“

”ما أنا قلت لك، الواحد ممكن يوفق بين مسئولياته من غير ما حاجة تبجي على حساب حاجة تانية، وأكد أنا لو لقيت إن شغلي هياثر على باقي الحاجات هاتصرف.“

”إزاي بقى؟“

”يعني، مش هاعرف أقول لك إزاي دلوقتي، بس أنا متأكدة إني هاعرف أوزن الأمور وأنظم الدنيا كويس.“

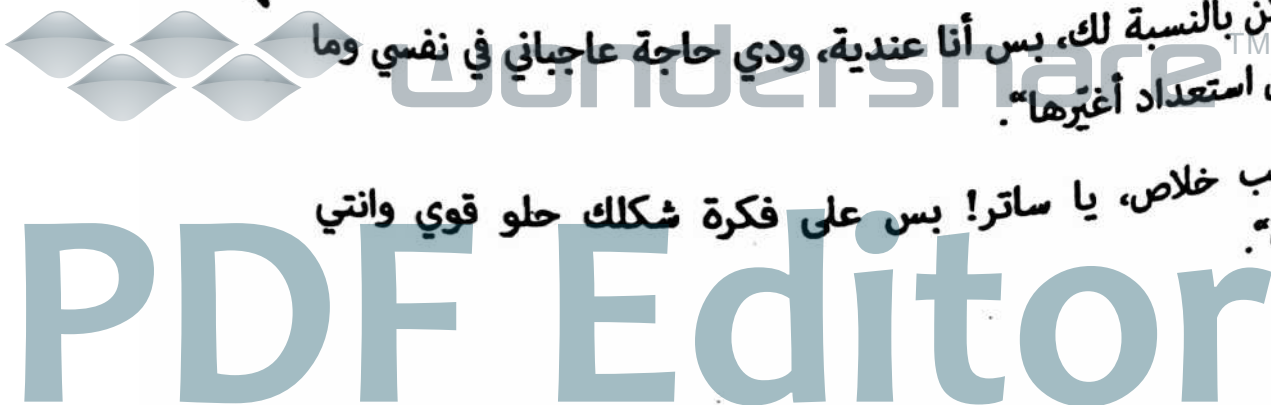
”انت عندية قوي على فكرة.“

”عارفة.“

”بس العند مش حاجة كويسة، خصوصاً في البنات.“

”يمكن بالنسبة لك، بس أنا عندية، ودي حاجة عاجباني في نفسي وما عنديش استعداد أغيرها.“

”طيب خلاص، يا ساتر! بس على فكرة شكك حلو قوي وانتي متفرزة.“



يا الله! نفس التعليقات القديمة السخيفة. لماذا يفقد الرجال القدرة على إيجاد مصادر أخرى لتعليقات جديدة بدلاً من أفلام السبعينات؟
”عرفت فائدة القراءة يا أستاذ؟“ نظرتُ إليه بمنتهى الحزم قائلةً:

”ممكّن أسألك سؤال؟“

”طبعا اتفضلي.“

”انت عايز تتجوز ليه؟“

”عايز أتجوز ليه؟ إزاي يعني؟“

”يعني ليه عاوز تتجوز؟“

تخيّلت أنها لو أعادت ترتيب الكلمات قد يفهم السؤال.

”أي حد في الدنيا لازم يتجوز.“

”أيوة بس أنا بسألك انت. ليه عاوز تتجوز؟“

”عشان الناس كلها لازم تتجوز. دي سُنّة الحياة.“

غبي... مثل معظم الرجال. إجابات مُعادّة ومحفوظة تصدر دون تفكير. ”سُنّة الحياة والناس كلها لازم تتجوز ولما يحصل نصيب“. كيف سيتقبّل فرديتها وعشقها للانفصال عن كل ما هو سائد حتى فيما يتعلّق بالعرف والتقاليد إذا كان غير قادر على إيجاد إجابة فردية له!

”وانت هتتجوز علشان الناس كلها لازم تتجوز ولا علشان انت شخصياً عايز تتجوز؟“

”أكيد علشان أنا راجل زي باقي الناس عايز أتجوز.“

”طيب خليني أسألك السؤال بطريقة ثانية. انت مستني حياتك الزوجية تمنحك إيه مش موجود في حياتك دلوقتي؟“

46
↑

PDF Editor

أجابها بابتسامة خبيثة قائلاً:

”حاجات كثير“.

تجاهلت ابتسامته وما قد تحمله من تلميحات، وأضفت المزيد من الحزم على صوتها قائلةً:

”أنا بتكلم جد على فكرة“.

”بصي يا ستي... أنا زي أي راجل عايز أستقر وأكوّن أسرة وبيت وأولاد. ألاقى إنسانة مناسبة شخصيتها كويسة، محترمة وبنّت ناس، عارفة مسئولياتها، ولازم يكون فيه بيننا تفاهم واتفاق وكل واحد يبقى عارف مسئولياته ومقدّر ظروف الثاني“.

لماذا هذه الإجابة المنمّقة؟ هل استشعر ضيقها وتضررها من اللقاء فحاول أن يللمم ما تبعثر من اهتمامها وسط تعليقاته السخيفة وإجاباته المكررة؟ أم أن هذا هو رأيه الحقيقي وبالتالي فإن كل ما حدث قبل ذلك كان ليختبر صبرها؟ ربما حدّته مروة من عصبيتها وسرعة انفعالها فأراد أن يختبر ذلك بنفسه!

استمرت في استجوابه وهي تمتص تعبيرات وجهه وحركات جسده كما تعلّمت من طول ممارستها لقراءة لغة الجسد، كأحد مكونات وظيفتها الأساسية.

7
4
”بس انت قلت إنك شايف إن الست المفروض ما تشتغلش عشان ده هياثر على بيتها وحياتها بعد الجواز، وده يتعارض مع اللي انت لسه قابله، إن المفروض كل واحد يقدر ظروف الثاني“.

”إزاي؟ أنا مش شايف أي تعارض“.

”يعني المفروض إن الزوج يقدر ظروف زوجته، وإنها بتشتغل، زي ما هي المفروض تقدر ظروف شغله“.

PDF Editor

”لا، معلىش فله فرق كبلر. شغل الراجل ده حاجة ضرورية من غير
ما بيقاش فله حياة. ما بيقاش راجل مسئول أصلاً، لكن شغل الست ده
كماليات ومش حاجة مهمة أصلاً، لأن له بديل.“

”بديل إزاي؟“

”بديل مادي يقوم به الراجل. وبعدين الست المتزوجة أصلاً شغلها
الأساسي هو زوجها وبيتها وأولادها، مش أي حاجة ثانية إلا لو الظروف
بتحتم إنها تشتغل عشان....“

”قصدك ظروف مادية. صح؟“

”بالضبط.“

”والظروف النفسية؟“

”بمعنى؟“

”احتياج الست للشغل، للإنجاز، للتعامل مع الحياة والبشر واكتساب
خبرات و....“

”لا، معلىش اسمحي لي، ده كلام ستات فاضين، وأكيد مش سعداء في
حياتهم الزوجية، لأن الست اللي عارفة تمشي حياتها صح مش هتحتاج
أي حاجة من ده كله. الجواز هيمنحها كل ده.“
”أنا مش مصدقة إني لسه باسمع الكلام ده!“

”قصدك إيه؟“

”قصدي إن فكرة المرأة اللي اتخلقت من أجل خدمة الرجل والبيت
والأولاد انتهت في أوروبا من نص قرن!“

”عشان كده بصي على مجتمعاتهم منهاره إزاي وكلها انحلال وقرق.“
”أنا بصراحة شديدة مش مقتنعة باللي انت بتقوله، وكمان أنا عن“



نفسى ما عنديش استعداد لمجرد التفكير فى إنى أسيب شغلى وأوقف حياتى على زوجى والبيت والأولاد زى ما بتقول. وانت قلت إن أهم حاجة التفاهم وإن الاتنين يكونوا متفقين. وواضح إن إحنا مش متفقين فى النقطة دي“.

”والله أنا مش عارف أقول لك إيه! انتى قررتى بسرعة والمواضيع دي ما ينفعش فيها تسرع. إحنا لسه بنتعرف وبنفهم شخصية بعض. بس براحتك، وعمومًا أنا معجب بيكى جدًا وأتمنى إنك تاخدي وقت وتفكرى براحتك، وأنا منتظر منك محاولة تانية. فكرى فى كلامى بهدوء يمكن تلاقى عندي حق“.

عادة الرجال، لا يعرفون الاستسلام السريع، بل تزيدهم الهزيمة تمسكًا وإصرارًا. عقلها لا يقدر على استيعاب العُقد والتركيبات التي يحتويها عقل الرجل.

كانت موقنة من فشل التجربة قبل بدايتها. كانت دائمًا تكره فكرة الزواج بهذه الطريقة، لكن إلحاح مروة ومن حولها أدى بها إلى هذا اللقاء.

مروة، يا بنت الذين! ستحدّثها الآن وتُخبرها بتفاصيل اللقاء. ستضحكان كثيرًا وسيكون ذلك العريس البائس موضوع أحاديثهما الضاحكة لأسابيع.

↓
49



wondershare™

PDF Editor



wonderhare™

PDF Editor

بريود Period

دائمًا تأتي في موعدها المحدد بدقّة، أكرهها، وأكره ما تُسببه من ألم يُحيل حياتي إلى عذاب مُقيم، تتوقّف حياتي بالكامل وتتحوّل إلى ساعات من ألم غير مُحتمل، لكنها المرة الأولى التي تزورني فيها تلك المزجة منذ أن تزوجنا.

أشعر ببدايات الألم فأنهضُ بهدوء وأتركك منهمكًا في متابعة المباراة المهمة. أكره كرة القدم، ولا أستطيع فهم ما يحدث أثناء المباراة، لكنني أجلس معك لمتابعتها، أنظر إليك وليس إلى شاشة التلفزيون، أرقب وجهك بانقباضاته وانبساطاته، تنعزل تمامًا عن الواقع، وكأن العالم كله أصبح ملعبًا لكرة القدم، تتفاعل مع المباراة بعنف وولع. أحب سعادتك الطفولية وشغفك الشديد بالأهداف، وكأن فوز الفريق هو فوز تاريخي لك.

↓
51

أنتسل إلى الفراش بينما يزداد الألم بإصرار، أشعر بأحشائي تتمزق، يدٌ حديدية تعتصر ما بداخلي، دوامات من ألم شديد لا أقوى على احتماله، أحاول جاهدةً أن أكتم صرخاتي فأغلق فمي، تتحوّل الصرخات إلى أنات مكتومة، بينما تزداد شدة الألم وجِدّة التقلّصات، أحاول أن ألتقط أنفاسي فلا أستطيع، يقتلني الألم مع كل شهيق، أتحايل بأخذ أنفاس قصيرة سريعة لا تملأ رئتي. أتلوى في الفراش وأدفن وجهي في الوسادة حتى أخرج تلك الصرخات المكتومة دون أن تسمعني.

أجذك، فجأةً، بجانبني تسألني: "مالك يا حبيبتي؟"

PDF Editor

تبدو منزعجًا، وجهك الجميل يبدو منقبضًا، وعيناك الجميلتان تملؤهما نظرات القلق. أحاول أن أتماسك، أبذل جهدًا لأبقي عيني مفتوحتين، حتى لا يبدو وجهي منقبضًا، تخرج الكلمات من فمي بصعوبة: "عندي مغص شديد". تقترب مني وتنظر إلى وجهي، تكسوك الحيرة ويزداد قلقك، تسألني: "ده برد ولا إيه؟" أقاوم خجلي وأخبرك: "لا يا حبيبي، أنا عندي البريود".

تتسلل نظرات الفضول والتساؤل إلى عينيك المثبتتين على وجهي، تنظر بتلقائية إلى بطني ثم تنظر إلى وجهي متسائلًا: "طب انتي حاسة بإيه بالظبط؟ أصل أنا ما أعرفش البريود دي بتعمل إيه!" أريد أن أبتسم من براءتك، طفل كبير أنت يا حبيبي كما عرفتك دائمًا، طفل جميل بريء.

أحاول أن أعطي صوتي نبرته الطبيعية وأجيبك:

"ما تخافش يا حبيبي أنا هبقى كويسة، هي بس في الأول كده وبعدين.... آآه" يخونني جسدي، تخذلني مقاومتي، تخرج مني صرخة تجزع لها خلجات وجهك. تقترب مني أكثر وتهتف متسائلًا "طيب... أعملك إيه؟ أجيب لك أي مسكّن؟" أحاول أن أستجمع قواي وسط أنفاسي المتقطعة وومضات الألم الذي يعتصرني وأجيبك: "لا، المسكنات بتتعبنى زيادة".

تصمت للحظات ثم تُضيء عيناك ببريق عجيب، تُحيط رأسي بذراعيك وتقبّل جبهتي المبلّلة بقطرات من العرق البارد، لا تبدو على وجهك أي مظاهر للاشمئزاز، رغم أنك تتقزز من تقبيل أي وجه يكسوه العرق. تنهض مُسرعة، ثم أسمع صوتك يهتف قائلاً: "أيوة يا ماما، الحمد لله، بقول لك إيمان عندها البريود وتعبانة أعمل لها إيه؟" تصمت برهة ثم تقول: "عندها مغص جامد ووشها أصفر وشكلها تعبان، لا يا ماما المسكنات بتتعبها زيادة" تصمت ثانية، ثم أسمع صوتك مُدافعًا عني

بقوة "حرام عليك يا ماما دي تعبانة بجد".

والدتك تكرهني. أعرف أنها تكرهني، لكني أحبها لأنها أنجبتك، جعلتك رجلًا جميلًا رقيقًا، أحبها لأنها صنعتك، لو كنت ولدي لبغضت تلك المرأة التي ستأخذك مني.

أسمع خطواتك المُسرعة تهروول إليّ، تنظر إليّ، مُمسِغًا الهاتف وتسالني: "عندنا نعناع أخضر؟" لا أقوى على الكلام فأجيبك بهزات من رأسي، تعاود حديثك "أيوة يا ماما عندنا، أغليهم إزاي يعني؟ خلاص هروح أعمله".

تخرج مُسرعًا فتعاود تلك اليد الحديدية اعتصاري، تتزايد دوامات الألم، أود لو أستطيع أن أقتلع بطني وما تحمله من ألم، أسمع خطواتك المُسرعة، تُلقي بنفسك بجانبني على الفراش فأصرخ من الاهتزاز، تحتضني بذراعيك وتُقبلني بحنان، أسمع صوتك المُتهدِّج ينساب إلى أذني قائلاً: "ما تخافيش يا حبيبتني هتبقى كويسة، أنا معاك ومش هسيبك غير لَمَّا الوجد يروح، ما تخافيش".

أنجح في رسم ابتسامة مُغتصبة على وجهي المتقلِّص، يشتد الألم فأصرخ، تهتف منزعجًا: "معلش يا حبيبتني، معلش، أنا آسف". يذهلني أسفك، لكني لا أقوى على التساؤل عن سببه. أستسلم للألم النابض الذي تزداد حدته مع خروجك من الغرفة.

تأتي مُسرعًا حاملًا كوبًا من المشروب الذي وصفته والدتك، تجلس بجانبني برفق، تضع الوسادة خلف رأسي، صوتك يبدو هادئًا بعض الشيء وأنت تقول: "أنا عملت لك قرفة بالنعناع وبردتها شوية عشان تعرفي تشربها، ماما بتقول هتريحك، بس لازم تشربها وهي سخنة". أجيبك بصوت متهدِّج: "مش بحب القرفة... بتتعب معدتي" تُلح عليّ راجيًا: "معلش يا حبيبتني، علشان خاطري، دي هتريحك والله".



55

PDF Editor

بقوة "حرام عليك يا ماما دي تعبانة بجد".

والدتك تكرهني. أعرف أنها تكرهني، لكني أحبها لأنها أنجبتك، جعلتك رجلًا جميلًا رقيقًا، أحبها لأنها صنعتك، لو كنت ولدي لبغضت تلك المرأة التي ستأخذك مني.

أسمع خطواتك المُسرعة تهروول إليّ، تنظر إليّ، مُمسِكًا الهاتف وتسالني: "عندنا نعناع أخضر؟" لا أقوى على الكلام فأجيبك بهزات من رأسي، تعاود حديثك "أيوة يا ماما عندنا، أغليهم إزاي يعني؟ خلاص هروح أعمله".

تخرج مُسرعة فتعاود تلك اليد الحديدية اعتصاري، تتزايد دوامات الألم، أود لو أستطيع أن أقتلع بطني وما تحمله من ألم، أسمع خطواتك المُسرعة، تُلقي بنفسك بجانبني على الفراش فأصرخ من الاهتزاز، تحتضني بذراعيك وتقبّلني بحنان، أسمع صوتك المتهدّج ينساب إلى أذني قائلاً: "ما تخافيش يا حبيبتني هتبقى كويسة، أنا معاك ومش هسيبك غير لَمَّا الوجد يروح، ما تخافيش".

أنجح في رسم ابتسامة مُغتصبة على وجهي المتقلّص، يشتد الألم فأصرخ، تهتف منزعجًا: "معلش يا حبيبتني، معلش، أنا آسف". يذهلني أسفك، لكني لا أقوى على التساؤل عن سببه. أستسلم للألم النابض الذي تزداد حدّته مع خروجك من الغرفة.

تأتي مُسرعة حاملًا كوبًا من المشروب الذي وصفته والدتك، تجلس بجانبني برفق، تضع الوسادة خلف رأسي، صوتك يبدو هادئًا بعض الشيء وأنت تقول: "أنا عملت لك قرفة بالنعناع وبردتها شوية عشان تعرفي تشربها، ماما بتقول هتريحك، بس لازم تشربها وهي سخنة". أجيبك بصوت متهدّج: "مش بحب القرفة... بتتعب معدتي" تلح عليّ راجيًا: "معلش يا حبيبتني، علشان خاطرني، دي هتريحك والله".



55

PDF Editor



wondershare™

PDF Editor



WOLFF & BERTE™

PDF ELEMENTS

أمنية

تجلس في جَمع من الزملاء في مطعمهم المفضل. يحتفلون بعيد ميلاد أحدهم، يضحكون ويأكلون بسعادة. وحدها تشعر بغربة شديدة ووحدة لا يُبددها صخب المكان.

تُحبهم ولا تتواني عن حضور هذه الأمسيات. تعرف أنهم يحبونها ويمرون على حضورها، حتى إنهم في مرات عديدة يؤجلون الاحتفال ليضمنوا وجودها.

تحرص على مشاركتهم الحديث والضحك، لكن بعد دقائق يفتر اهتمامها وتتملكها رغبة شديدة في الرحيل. تنظر حولها فتجدهم في مجموعات صغيرة أو ثنائيات يتحدثون، وتبقى هي وحيدة صامتة. تحتفظ فوق شفيتها بتلك الابتسامة التي اعتادت على رسمها حتى أصبحت مصاحبة لها أينما تذهب، وباتت من معالم وجهها المميزة. يصبحها دائماً لقب "بتوشة" مع تعليقات عديدة حول ابتسامتها العذبة وقدرتها على الابتسام حتى في أحلك الظروف.

تحاول أن تتداخل معهم في الحديث، فلا تستطيع. ينصب حديثهم على شيء واحد، ذلك الشيء الذي تفتقده. تود لو تحدثوا عن شيء آخر، وفي ذات الوقت لا تستطيع إلا أن تُنصت باهتمام.

PDF Editor

يأتي إليها ابن إحدى صديقاتها حاملاً لُعبته فتُجلسه بجانبها وتنهمك
معه في تركيب القطع الملونة. تندمج في اللعب فتنسى كل ما حولها،
ولا يبقى في أذنيها غير صوت الصغير وضحكاته التي تُزيل كل همومها.
تختلس النظر إليه بعينين تودّان لو استطاعتا أن تحفرا صورته داخلها.
تقتنص اللحظات فترُبّت على شعره المجعّد، أو تلمس وجنته الناعمة
المبلّلة بعرق شقاوة طفولته. تحب عينيه اللامعتين حين تنظران إليها،
فتجد فيهما دواءً مسكناً لجراح قلب أدمته الوحده، وتجد في انفراجه
شفتيه عن ابتسامه سعيدة تاريخاً كاملاً لسعادة غير مُقدّر لها أن
تحياها.

نُصر على البقاء حتى انتهاء الحفل، ليس هناك ما ينتظرها في البيت
الخالي على أيّ حال، ومن الأفضل قتل معظم الوقت معهم عن العوده
والبقاء وحيداً في هذه الليلة الباردة، على عكس ليالي الصيف الخانقة.
ينتهي الجمع فتعانق الصغير وتعدّه بلعبة كبيرة "لو سمع كلام ماما"
تضمّه إليها في حنان وتطبع قُبلة طويلة على جبهته.

تدلف إلى سيارتها القابعة في ذلك الشارع الجانبي الهادئ. تُدير
المحرك فتنبسب موسيقى حزينة من راديو السيارة. يسقط القناع
وتختفي الابتسامه وتغلف الوجه طبقات من حزن كوّنته الأيام. تزداد
الغُصّة في حلقها وهي تنظر إلى ساعة السيارة التي تُشير إلى قبل
التاسعة بقليل. ما زال هناك الكثير من الوقت، تقود السيارة صوب
الطريق السريع مبتعدةً عن المدينة الصاخبة وزحامها الخانق. تزيد من
سرعة السيارة، تحيط بها كُتبان رملية مُخيفة وفراغ مُظلم شديد السواد
لا يقطعها إلا أنوار السيارات العابرة. تراءى أمامها خيالات من أمنية
بعيدة بات من الصعب تحقيقها. تنهمر دموعها بلا توقّف ولا تقوى

U
α
↑

على متابعة القيادة، فتوقف السيارة على جانب الطريق. نهضة عالية
تتبع من داخلها ودموع غزيرة تحجب عنها كل ما يحيط بها. تُغطي
وجهها بكفيها.

59 ↓



wondershare™

PDF Editor



wondershare™

PDF Editor

نافذتان

” كل سنة وحضرتك طيبة يا مامي، معقولة بقالكم ثلاثين سنة؟ يارب أنا وهشام نفضل نحب بعض كده على طول زي حضرتك وبابا.“
أنهت الاتصال، ومع اختفاء صوت ابنتها تراجعت تلك الابتسامة المصطنعة التي تُتقنها، والتي داومت على رسمها، تاركةً صفحة وجهها لابتسامة أخرى صادقة تحمل مرارة سنوات من الوحدة نجحت في إخفائها حتى عن أمها وابنتها الوحيدة.

ثلاثين عامًا تعيش معه حياتين، فأمام ابنتها وأمام الجميع هي الزوجة السعيدة وهو الزوج المُحب، يحسدها الجميع على السعادة التي لا تراها.

تحدت الجميع حتى تتزوجه، حاربت الكل وخاضت صراعات عنيفة. حين تتذكر هذه الأيام لا تذكر لماذا تمسكت به بتلك القوة التي لم ترها في أي من بنات جيلها، كانت تُصارع لتأخذ ما يُنكره عليها الآخرون، وانغمست في الصراع دون أن تفكر هل ما تُصارع من أجله يستحق كل هذا العناء!

ثلاثين عامًا تصطنع السعادة وترسم الابتسامة. تبتاع أشياء وتدعي أنها هدايا منه، تحجز غرفة في أفخم الفنادق وتدعي أنها مفاجأة منه، حجرة تاوي فراشين. وكما انغمست قديمًا في صراعات للزواج منه انغمست بعد ذلك في نسج القصص ووضع الخطط لتثبت للجميع أنه الزوج المثالي.

↓
61

PDF Editor

لم تفكر في الانفصال، لم تقبل الفشل، ولن. ستتحمل نتيجة اختيارها، ولن تُعطي الفرصة لمن عارضوها لينالوا منها. ستظل نموذجًا للزوجة السعيدة، وستُرمم أمامهم صورته، المنهارة أمامها.

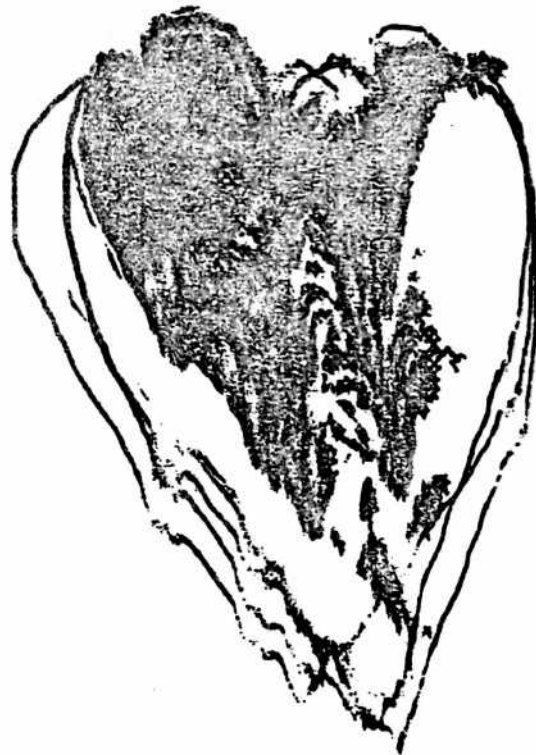
تتجول في أرجاء المنزل الخالي الذي أثنته بالكامل دون الرجوع إليه، ومتى كان له أي دور! تتأمل الأثاث الثمين والتحف النادرة، كل شيء منسّق ونظيف يحمل ذوقًا أوروبيًا راقيًا، وكأنها ترسل رسالة لمن يزورها: "انظر إلى بيتي، كيف يحمل كل هذا الجمال إلا إذا كان يحمل قدرًا مماثلًا من السعادة؟"

تقف أمام الحائط حيث علقت صورته جوار صورتها، نفس الحجم ونفس الإطار. لم تر الصورتين ولم تر الإطارين المتماثلين، رأت نافذتين. "نافذتان، أنا وأنت نافذتان في جدار واحد، يربطني بك خيط أبدي، أقوى من الحقيقة وأوهن من بيت العنكبوت. نافذتان في جدار واحد كُتب عليهما البقاء معًا، كل واحدة منهما ترى ما لا تراه الأخرى، رغم وجودهما في الجدار نفسه، ورغم رؤية العالم لهما كنافذتين متماثلتين تريان الأشياء نفسها. نافذتان في جدار واحد، لكن ليس مُقدَّرًا لأيٍّ منهما أن ترى الأخرى."



wondershare™

PDF Editor



wondershare™

PDF Editor



Wondershare

PDF Editor

اليوم الأول

توقظه برفق وهي تربت على كتفه الصغير، تُزيح خصلات شعره الأسود عن جبهته، وتقبّله وهي تهمس بحنان: "قوم يا حبيبي عشان ما نتأخرش".

يتلمل في فراشه ويفتح عينيه الصغيرتين بكسل، ثم ينهض ويعانقها دافئاً رأسه في صدرها، آملاً في مزيد من لحظات النوم اللذيذ. تقبل رأسه وتستنشق رائحته، مُستمتعة بدفء جسده الصغير في حضنها.

بمضيان في خطوات متلاصقة بطيئة حتى باب الحمام. تتركه وتذهب لتجهّز له ما سيحتاج في هذا اليوم الطويل: ساندوتش الجبن الأبيض، بيضة مسلوقة، تفاحة، موزة، زجاجة مياه صغيرة، شوكولاتة بالبندق، عصير برتقال طبيعي، مناديل ورقية، قلم رصاص، دفتر للكتابة وآخر للتلوين، علبة ألوان خشبية، قطع صلصال ملونة، سيارات صغيرة اشترتها نياخذها معه في أول يوم ويُعطي منها لزملائه، حتى يكسب حبهم ويكون له حضور قوي بينهم.



تذهب إلى غرفته فتجده قد بدأ في ارتداء ملابسه، تُهرول إليه وتعاونه فيهتف بضيق: "يا مامي أنا كبير وبعرف ألبس لوحدي". تنظر إليه بحنو ثم تحتضنه بقوة، تود لو ظل عالقاً بها هكذا إلى الأبد. يتلمل في ضيق محاولاً التقاط أنفاسه ويهتف: "يا مامي هافطس". تنظر إليه وتهمس: "أنا عارفة يا حبيبي إنك كبير وشاطر وبتلبس لوحك بس أنا عاوزة ألبسك. ممكن مامي تلبسك النهارده؟" يهز رأسه موافقاً وتتقد عيناه ببريق الإثارة وهو يهتف بقوة: "بس أنا اللي أسرح شعري وأحط

من الكريم بتاع بابي“. تبتسم وتهز رأسها موافقةً.

تُجلسه على المقعد جوار الباب وتُعاوننه على ارتداء الجوارب والحذاء. تبتعد عنه وتتفحصه بعينين تودان إيقاف الزمن على وجهه وجسده الصغير في ملابسه الجديدة. كيف مرت الأيام بهذه السرعة؟ شهور الحمل، القيء والتعب، شيء ينمو داخلها، بطنها تكبر وتستدير وتصير أكثر صلابةً، تفقد شهيتها وتشعر بالتعب من أقل مجهود، خوف، ترقُّب، قلق، حركات مفاجئة داخل أمعائها تأتي في أي وقت دون سابق إنذار، ألم الأسنان القاتل وعدم إمكانية تناول المسكّن حتى لا يضر الجنين، ساعة الولادة، ظهرها يتمزق وكأن هناك مَنْ يطعنها بسكين حاد ببطء شديد، صرخاتها تشق سكون الليل، شيء صغير دافئ يوضع على صدرها وصوت أمها يأتي من بعيد: ”شيلي ابنك يا حبيبتي بسم الله الرحمن الرحيم“.



أين ذهب ذلك الكيان الصغير؟ متى كبر وتعلّم المشي والكلام؟ متى تكونت عنده تلك الرجولة الصغيرة؟ ومتى تعلم أن يثور ويعترض؟ وذلك العناد وال....

”يا مامي انتي لسه مالبستيش الإيشارب؟ هنتأخر“.

تُفريق على صوته الغاضب فترتدي الحجاب على عَجَل. تهبط درجات السلم مسرعةً ممسكةً يده الصغيرة، حاملةً حقيبتة في يدها الأخرى. تسلمه إلى المُشرفة وتهرع إلى سيارتها، تتبع الباص محاولةً أن تراه من خلف الزجاج، أين جلس؟ بجوار من؟ هل بدأ في الحديث مع أجد الأطفال؟ كيف ستمرُّ عليه ساعات هذا اليوم؟ هل سيشعر بالوحدة أم سيتمكّن من الاندماج وتكوين صداقات؟ هل سيُضايقه أحد؟ وهل سيتمكّن من الدفاع عن نفسه؟ هل سيخجل من طلب الذهاب إلى الحمام؟ هل سيكسب حب مُشرفته؟ هل سيستخدم الكلمات الإنجليزية التي داومت على تلقينها له؟ هل سيأكل الساندوتش ثم الفاكهة ثم

يشرب العصير أم سيتجاهل طلبها ويأكل الشوكولاتة فقط؟ هل سيعرف كيف يحافظ على أغراضه أم سيأخذ أحد الأطفال الأشقياء منه لُعبه أو طعامه؟ كيف سيقضي هذه الساعات الست؟

تصل إلى المبنى الصغير، تعدو إلى الباص وتنتظر خروجه بصبر نافد، يظهر وجهه في طابور الأطفال، يراها فتُشرق ابتسامته التي تُضيء العالم من حولها، يهبط مسرعًا ويقفز كعادته إلى الأرض. يعدو إليها فتعتصره بذراعيها، تودُّ لو في استطاعتها أن توقف الزمن، أن تحمله وتعود إلى البيت. لماذا عليها أن تفارقه ولو لساعات؟

تجذبه المُشرفة وتمضي مُسرعةً نحو باب الحضانة. يلتفت إليها ويلوح لها مبتعدًا، ثم يضم يده إلى فمه ويرسل لها قُبلةً في الهواء. يختفي خلف البوابة فتغيم الرؤية، تنهمر الدموع التي حاولت جاهدةً أن تكتمها. تغرق في دوامة البكاء الصاخبة. تعود إلى سيارتها وتلقي بجسدها على المقعد. تبحث عن هاتفها المحمول وتطلب رقم زوجها. تحاول أن تتكلم فلا يسمع منها غير: "هيثم وحشني".

67 ↓



wondershare™

PDF Editor



P... ..

غير مرئي Invisible

تجلس أمامه في المقهى الهادئ متخفية خلف زجاج نظارتها الشمسية التي تخفي معظم وجهها. تُصر على ارتدائها رغم اختفاء الشمس وراء سحب كثيفة تملأ السماء. تستمد شيئاً من الأمان من الزجاج الداكن. يُعطيها التخفي شيئاً من القوة والثبات. لا تُريده أن يرى عينها، أن يعرف أنها تغمره بنظراتها.

تُراقب وجهه بأدق تفاصيله، خصلات شعره الناعم تتطاير مع النسمات الباردة، تود لو كانت نسمة فتُحيط به، تغمره، تمتص عطره، تذوب في حرارة جسده، تلتصق به إلى الأبد. ترقب عينيه اللامعتين، انفراجة شفثيه حين يتكلم أو يتسمم، ذلك البروز في رقبته يتحرك باستمرار مع صوته الدافئ الذي يُغرقها.

تراقب يديه، حركاتهما العفوية، وتلك الشعيرات التي تتناثر فيهما، تود أن تمسك إحدى يديه وتُداعبها، ثم ترفعها إلى وجهها، تلامسها بشفتيها، تُقبل كل إصبع ببطء شديد، تستنشق عطره ممزوجاً برائحة جسده المميزة.

تُفبق على صوته يعلو فجأة: "خلاص كلها أسبوعين وهتيجي وتقابليها. أنا كلمتها عنك وهي عاوزة تشوفك".
صديقه الأمريكية... حبيبته.

تتضع ابتسامه تعرف جيداً كيف تُقنها، تُجيب بالإنجليزية في تلهف مُصطنع، يبدو طبيعياً، دائماً تتحدث بالإنجليزية حين تكذب: "لا



wondershare

PDF Editor

أستطيع الانتظار حتى أراها. أتمنى ألا تكرهني.

يُجيبها مُندهشًا: "ليه إن شاء الله؟"

"يعني، بعض النساء لا يتقبلن فكرة أن لوجالهن صديقات."

يُجيبها بضحكة عالية، تعشق وجهه حين يضحك، يضيء بنور عجيب لا تستطيع تحديد مصدره، بياض أسنانه، أم بريق عينيه، أم مزيج منهما، أم سحر خاص تُضفيه الضحكة على قسَمات وجهه الوسيم!

"لا خالص. أنا كلمتها كثير عنك، وهي نفسها تشوفك. هي مُتفهمة جدًا، وعارفة إننا أصدقاء مقرَّبين جدًا، بعدين إحنا قدام بعض من سنين، لو كان فيه حاجة ممكن تحصل كانت حصلت من زمان."

غُصَّة في حلقها تمنعها من الكلام. مزيج من الصدمة والإهانة والشعور بالغباء.

يستمر في الحديث الضاحك عن حبيبته. يُعيد قصة لقائهما والتي سمعتها منه عشرات المرات. لماذا لا نملُّ من تكرار ما يُسعدنا، دون مراعاة مشاعر مَنْ نتحدث إليهم؟

تستمر في اصطناع الاهتمام محتميةً خلف زجاج النظارة الداكن. تبذل جهدًا كبيرًا لتحافظ على الابتسامة الباردة، بينما يزداد الغليان داخلها. غيرة، غضب، غيظ، تشعر بسخونة رغم الشتاء. أنفاسها تزداد سرعةً. تتزايد نبضات قلبها، يرتج كيانها مع كل نبضة. ما زال منهمكًا في الحديث عن صاحبه التي تكرهها، حتى قبل أن تراها. ينتابها شعور مفاجئ بالسخافة، سخافته وسخافة حديثه وسخافة صديقه، وسخافة هذا اللقاء. تفيق على صوتها يهتف داخلها بعنف: "هو أنا بعمل إيه هنا؟"

تساق صاغرةً وراء ذلك الأمر بالانصراف. تنظر في ساعتها متصنعة

70
↑

PDF Editor

المفاجأة، وتقاطعه بحزم، بالإنجليزية: "يجب أن أنصرف".

يُجيبها بدهشة وقلق: "فيه إيه؟ صدعتي ولا إيه؟"

تُجيبه بالإنجليزية في اقتضاب: "لا أنا بخير. تذكّرت موعدًا مهمًا. يجب أن أنصرف".

"طيب هطلب الحساب".

لا تستطيع الانتظار، تشعر أنها على وشك الانفجار. تهتف في عصبية:
"ممكّن تحاسب لي؟ أنا همشي".

"طبعا، انتي راكنة بعيد؟"

"لا، خالص، هنا قدام الكافيه. سلام".

تمشي ببطء حتى تخرج من المقهى. تجتاز السور العالي فتهرول إلى سيارتها. تُلقي بجسدها على المقعد منهكة لاهثة، وكأنها خرجت للتو من مطاردة للقضاء عليها. تخلع النظارة وتلقيها على المقعد، فتسقط في أرض السيارة. تفتح حقيبتها بعصبية وتُخرج مرآتها الصغيرة. تنظر في وجهها بتمعن. تُطيل النظر وكأنها تبحث عن شيء خفي. تُدقق في عينيها، أنفها، شفيتها. تحرك وجهها يمينًا ويسارًا لتراه من زوايا مختلفة. يزداد اللهاث وتتصاعد موجات الغضب فتلقي المرأة. تدفن وجهها في كفيها. تضغط على أسنانها بعنف:

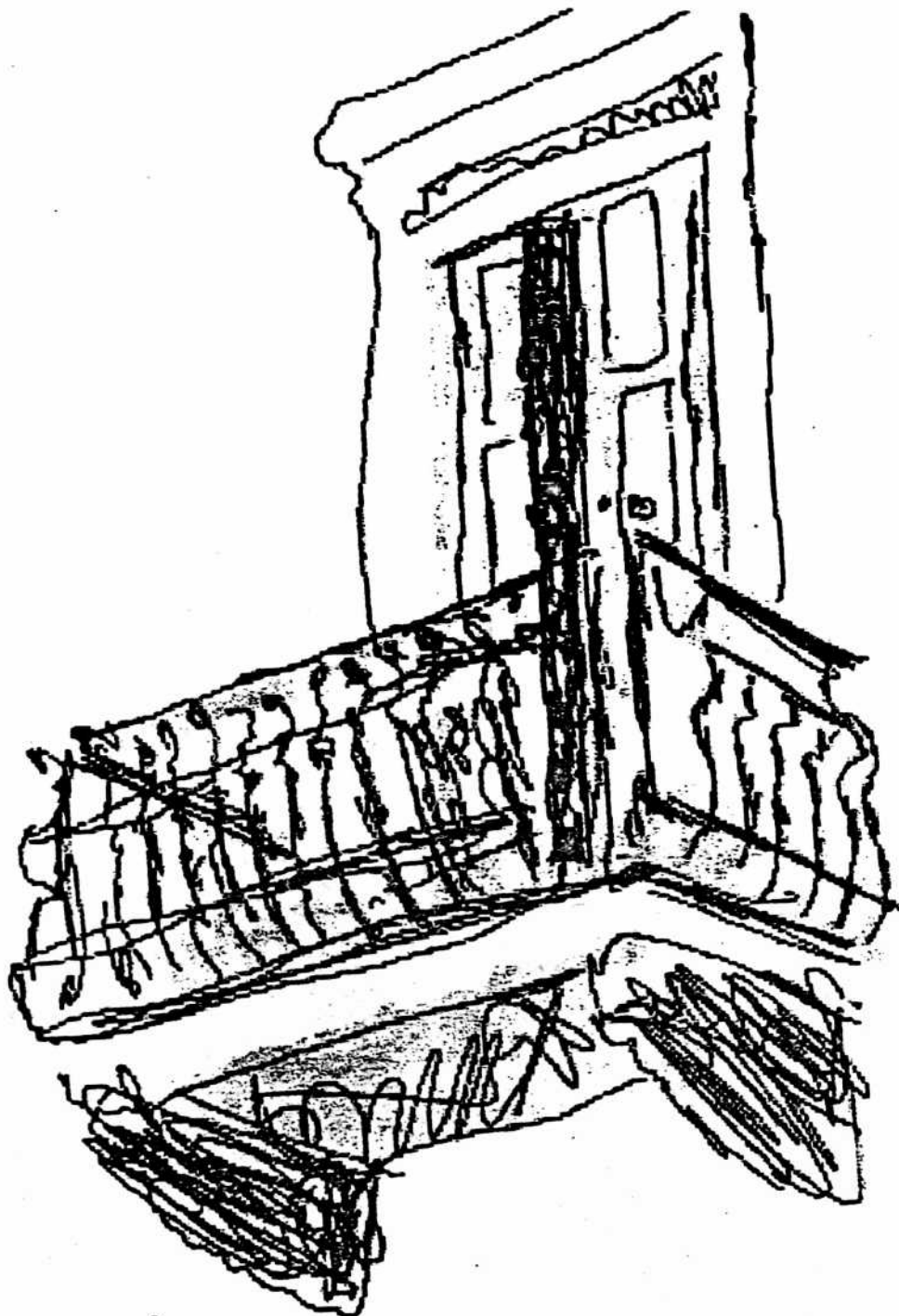
"هو ليه مش شايفني!"

71



wondershare™

PDF Editor



wondershare™

PDF Editor

شُرْفَةٌ نَصْفٌ مُغْلَقَةٌ

لم تحتمل هجوم الذكريات. أنهكتها المقاومة وأعيائها طول الصبر
وبُعد الأمل. مشت حتى بيته ووقفت لدقائق ترُقُب شُرْفته نصف
المغلقة. بعض ملابسه مُعلّقة تتمايل مع الهواء. ودت لو كان بإمكانها
أن تطير لتعانقها. لا، لا تريد ملابس مغسولةً من آثاره. تريد أشياءً
لمسها والتصق بها، أشياءً ترك بها بقايا منه. رائحته، عرقه، دفاء جسده.
ودت لو دخلت غرفته من باب الشُرْفة نصف المغلقة، دون أن يراها
أحد، واختبأت إلى الأبد. ودت لو تبتّلت في محراب غرفته كعبادة تمارس
طقوسًا لا تصح إلا حيث توجد آثاره، ولا تقبل دون بخور من رائحته.

عيناها مُعلّقتان بالشُرْفة وعقلها يتصوّر عُرفته، ملابسه التي لازمته
طوال اليوم، حقيبتته التي استقرت على كتفه بعض الوقت، أوراقه التي
أطال النظر فيها، كتبه التي قضى ساعات معها، أقلام احتضنها بين
أصابعه، فراش يحمل جسده، غطاء يلتف به، وسادة تتخلّلها رائحة
شعره، وجدران تحتويه.

ودت لو أصبحت غير مرئية، لو فقدت ذلك الكيان البشري المتمثل
في جسد ثقيل يجذبها بعيدًا عنه ويثبتها إلى الأرض. ودت لو أصبحت
شيئًا من أشياءه فتلازمه.

انتصرت الذكريات كعادتها، قررت العودة إلى مكمناها الخفي تاركةً
أحدي ضحاياها واقفةً في شارع مظلم ترتعد من البرد، رأسها مرفوع إلى
ما مثبتان على شُرْفة نصف مغلقة.



wondershare™

PDF Editor

لعنة

تظهر في حياتي فجأة، وبعد طول اختفاء، فتُخفي كل الناس، كل الأماكن والأشياء. يد خفية تضغط على زر الإرجاع في ذاكرتي، ترجعني إلى الوراء فلا أجد في نفسي إلا اشتهاً لأيام مملأها وجودك فحفرها في ذاكرة تتشبَّث بك في عناد وإصرار. لا أرى إلا مشاهد مقطعة من حياة كنت فيها، كنت تملؤها، تحتويها تُحدِّدها. حياة لم يبقَ منها إلا تلك المشاهد القابعة في ركن خفي من الذاكرة، تستثيرها أشياء صغيرة تندفق من مصدر مجهول، تنهال عليَّ كحبات المطر فترسلني في رحلة بلا عودة إلى عوالم لا وجود لها إلا في داخلي. أغرق في ليل مظلم كتيب وتختفي ابتسامة أجاهد في رسمها طوال اليوم. تختفي ببساطة وسهولة، نفس البساطة التي كنت تنثر بها السعادة داخلي فتغمرنني كطوفان يجرفني إليك. في لقاءاتنا كنت أشعر أن وجهي يُشع بريق عجيب، وكأنك تحمل مصباحًا خفيًا يسُلط الضوء عليَّ فيرى العالم كله وجه امرأة سعيدة... امرأة تُحب.

↓
51

أرى سيارتك قابعة في مكانها المعتاد فيهتز كياني، لا أراها خالية بل أراي فيها جالسة جوارك، أمتص تفاصيلك دون أن تشعر، أطوف بعيني فوق انحناءات وجهك، نظراتك إلى الطريق، تقلصات ملامحك حين يضايقك أحدهم، قبضتك على عجلة القيادة، تركيزك الشديد، وشفطيك المضمومتين حين تحاول ألا تلمس الرصيف. لماذا أحتفظ بكل هذا في ذاكرتي؟ كيف استطعت أن أخبئ كل هذه الأشياء الصغيرة في مكان داخلي دون أن أعرف أين يوجد هذا المكان؟

PDF Editor

تصلي رسالة قصيرة منك فأتحول إلى مجنونة، أبتسم للعالم دون سبب كبلها، مثيرة للشفقة. مكاملة منك لا تحمل إلا حديثاً مقتضباً في غاية البرود تجعلني أريد الرقص بسعادة وكأني اجتزت اختباراً مصيرياً، رغم عدم وجود أي مصدر للسعادة في الحوار. أنت مصدر السعادة، اسمك على شاشة الهاتف، صوتك، حديثك، حتى لو كان بلا معنى. أنت السعادة.

يسألونني لماذا لستم معاً إذا كان له كل هذا الحب داخلك، فلا أجد إجابة! يسألون أسئلة منطقية وينتظرون إجابات منطقية، لكن متى كان المنطق قادراً على تفسير مشاعر النفس وخبايا القلوب؟ لماذا يربط البشر الحب بالسعادة؟ ولماذا يخلطون بينه وبين الزواج؟ فرق شاسع بين الاثنين، هُوّة مُخيفة بين أن أحبك وأن أحيا معك. أعرف أني أحبك، لكنني مُوقنة من استحالة الحياة معك.

لكن... هل أنا أحبك حقاً؟ كيف إذاً تمضي الحياة دونك؟ تمضي الأيام وتتوالى الفصول وأنا وحدي. أذهب الى عملي وألتقي بأصدقائي، أشاهد الأفلام والمسلسلات وأتفاعل مع الناس، فأجذب لهذا، وأكره هذا، وأغرق في نظرات هذا، وأشتهي هذا... وأين أنت؟

لماذا ما زلت أحيا وأنت لست معي؟ كيف مضت الحياة طوال هذه السنوات وأنت لست فيها؟ ولماذا لم تأخذ معك تلك الذكريات المزعجة حين رحلت؟ كيف يكون رحيلك أسهل بكثير من محو آثارك؟ لماذا ما زلتُ عالقةً بك رغم عدم توقف الحياة دونك؟

لا، لا أظن أني أحبك، بل أنا عالقة بك، نعم، مُدة شيء مغروس داخلي يمتد من قلبي إليك، يلتصق بك، يأخذني إلى حيث تكون ويعبث بي كيف يريد، وكيف تريد. قوي ذلك الشيء وسر قوته ليس عندي بل عندك أنت. شيء غامض لا أستطيع تحديده ولا أعرف كيف أوقفه، شيء كريب، مزيج من اعتياد وإدمان والتصاق ورغبة وحنين، شيء غير



نظقي لا تصفه الكلمات. شيء لم يتركني حين تركتني، لم يختف مع
تفائك ولا يمكّني من الحياة دونك. شيء يُجبرني على البحث عنك
كل الرجال، ويجذبني إليك كما تنجذب الفراشة إلى هلاكها، لكن
أحد يلوم الفراشات حين تهلك فهي لا تعرف أي مصير ينتظرها، أما
أنا فأعرف، لكن المعرفة لا تمنعني ذلك الشيء. بغضب كرهه أود أن
أنتلعه من داخلي حتى لو انتزعت قلبي من مكانه أو فقدت الذاكرة.
لست أحبك، لكنني مُقدّر لي أن أحيا هكذا تُطاردني لعنتك، تُغرقني
كرياتي معك، يقتلني الحنين إليك وتبتلعني دوامة من الأمل واليأس
الخوف والاشتهاء.

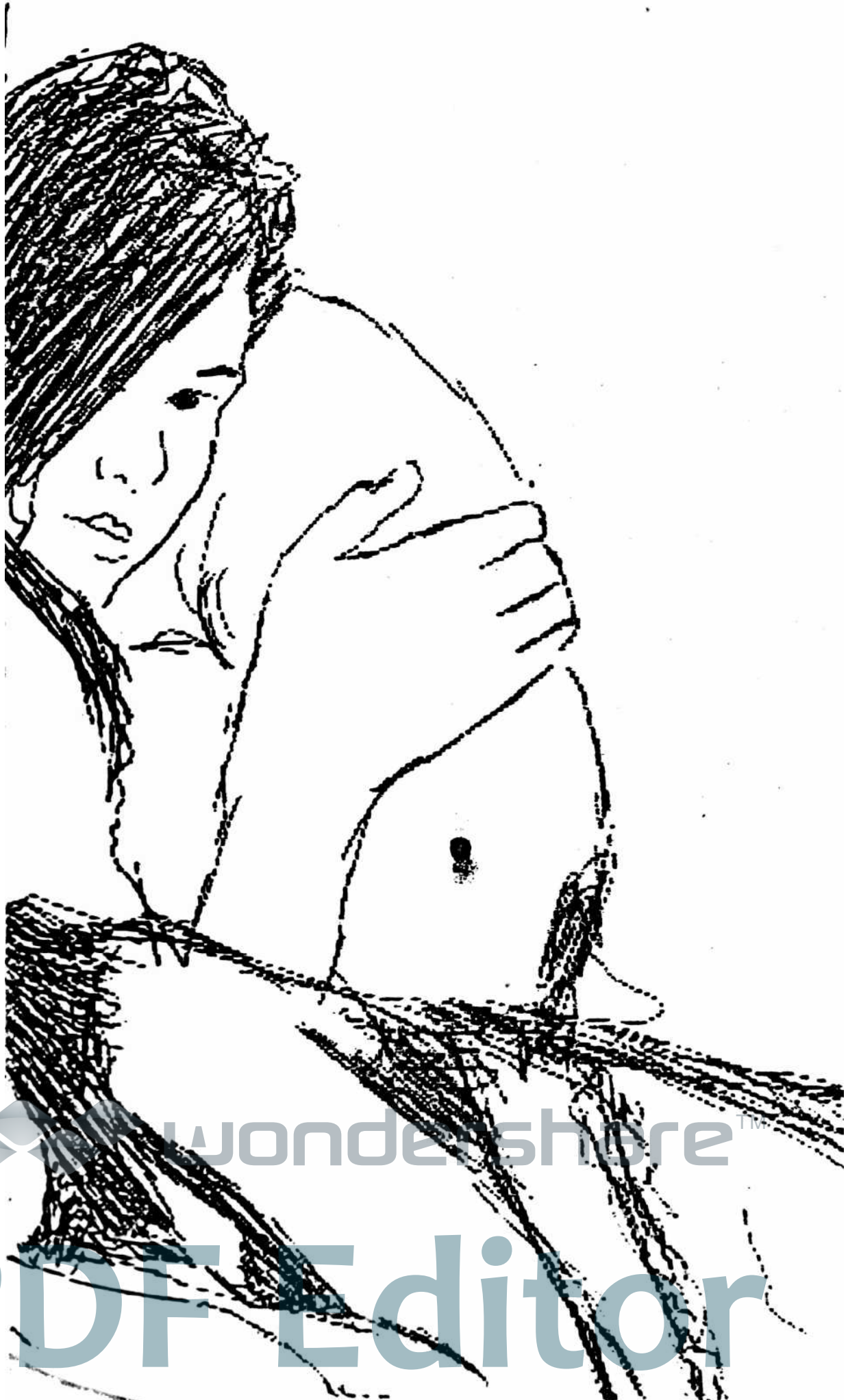


77



wondershare™

PDF Editor



wonder share™
PDF Editor

بقايا حُلْم

التصقُ بك، تتخللني رائحتك فتبتُّ في الحياة، التصق بك أكثر وكأني أتشبَّت بأخر فرصة للبقاء. تتملِّكني تلك الرغبة القوية أن أدفن رأسي في خشوع، في ذلك الركن الحميم بين رقبتك وكتفك، أحاول أن أشبَّ على أطراف أصابعي لأصل إلى أعلى صدرك، تتوقف يدي في طريقها متحسِّسة الصليب المتدلي من رقبتك معلنا استحالة التصاقنا. تصلك رغبتني دون أن أتكلم. دائماً تفهمني دون كلام، وكأن تلك الرغبة الملحَّة تنتقل إليك في رسائل صامتة. تُحني قامتك حتى تمكِّني من أن أدفن رأسي في مكانها المفضَّل. تفعل ذلك بتلقائية وبساطة تشبه تساقط قطع الدومينو المصفوفة بعناية واحدة تلو الأخرى. يُعطيني انحناءك فرصة أبديةً للتصاق بك كما أحب. آخذ أنفاساً عميقة من رائحتك، كغريق يأخذ آخر أنفاسه قبل أن تبتلعه الأمواج. يعلو صوت هاتفي المحمول تدريجياً بتلك النغمة التي خصصتها لك.

↓
79

يطير النوم ويتبخَّر الحُلْم مَلَمَلِمًا بقايا رائحتك، ودفء جسدك. أضغط على الزر بسرعة قبل أن أفتح عيني، فلا أسمع منك إلا كلمتين:

- أنا سيبتها.

- إيه؟ بتقول إيه؟

- سيبتها، خلاص مش قادر.

صمت. صوت السيارات حولك يُخبرني أنك لست في البيت. أنت في سيارتك، الحديدية التي استبدلت سيارتك القديمة بها. سيارتنا التي

PDF Editor

بعثها، غيّرتها حين حصلت على سعر مناسب.

- انت كويس؟

- عايز أشوفك. أنا ماروحتش من الصبح، عمّال ألف في الشوارع مش عارف أروح فين. عايز أشوفك، أنا تحت البيت عندك، ممكن تنزلي؟ عايز....

أكمل الكلمة الناقصة بداخلي... "عايز أحضنك". أعرف حضنك جيّدًا، أعرف ما يفعل التصاقنا بي وبك، بقايا الحُلم ما زالت معي. هل من الممكن أن تتحقق الأحلام بهذه السرعة؟ أجيبك دون تفكير بأيّ قادمة إليك؟ كيف أفكر وأنت على بُعد خطوات؟

أنهض كالمجنونة غير قادرة على تنظيم أفعالي. أتوه في غرفتي التي أعرفها جيّدًا، أبحث عن أشياء في غير مكانها، ماذا أفعل؟ أغسل وجهي أم أبدل ثيابي أولًا؟ كيف أخفي شعري المشعث؟ ماذا أرتدي؟ وأين الإيشارب الأزرق ذو الأزهار البيضاء؟ كيف أبدو؟ وجهي يحمل آثار النوم وخطوطاً أفقيةً تركتها وسادتي. أمي حتمًا مُستيقظة في انتظار صلاة الفجر! وماذا لو قابلت أحدًا من الجيران في المصعد في هذا الوقت؟

أخرج من البناية، أشعر بالهواء البارد على وجهي ورأسي، أجدك في السيارة أمام الباب، سيارتك... سيارتنا!

لا أملك نفسي، أعدو إليك... إليها، أهتف:

- إيه ده؟ انت مش بيعتها؟

- لا طبعًا، ما بيعتهاش. أنا كنت بس بقولك كده عشان أشوفك ونتمشى بيها زي زمان.

أطوف بعيني على وجهك، وكأنني أقبله. تلتقي نظراتنا فتُطيل النظر إلى رأسي، ثم تقول:

PDF Editor

- انتي مش لابسة الإيشارب.

- يا نهار اسود!

أحاول أن أخفي شعري بيدي فلا أستطيع، أنظر حولي ثم أنظر إليك،
أقفز داخل السيارة، أحتمي بها من نظرات خفية إلى شعري المكشوف.
يفتني الخوف والحرج، تغطي سعادتي بوجودي معك على كل شيء.
تعلو وجهي ابتسامة لا تعرف طريقها إليه إلا وأنا معك. أهتف ضاحكةً:

- شايف بتعمل في إيه؟

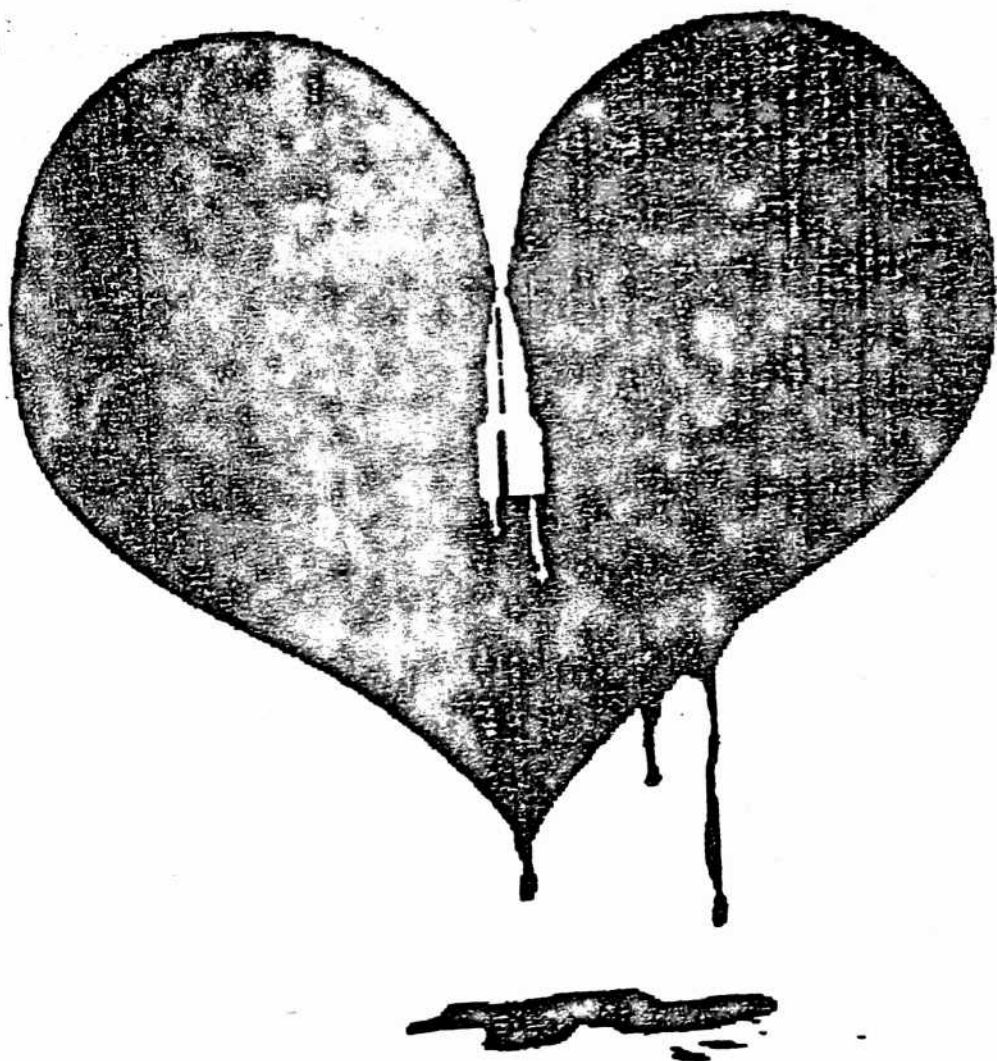
تنظر إلي، تبتلعني بنظراتك، تسع ابتسامتي، تمسك يدي وتقرّبها من
فمك. تلمسها بشفتيك فأفقد الإحساس بما حولي. أعرف ماذا ستقول
قبل أن تفتح فمك، تقولها، أسمعك وأغمض عيني.

↓
18



wondershare

PDF Editor



wondershare™

PDF Editor

قلب فارغ

« وربما جاء يوم نجلس فيه معًا، لا لنتفاخر ونتباهى، لكن لتتذكر وندرس ونعلّم أولادنا وأحفادنا، جيلًا بعد جيل، قصة الكفاح ومشاقه، ومرارة الهزيمة وآلامها، وحلاوة النصر وآماله.»

محمد أنور السادات

أي نصر وأي آمال؟

مضى أكثر من ثلاثين عامًا على ذلك اليوم البغيض، وفي مثل هذا اليوم من كل عام تُغلق الراديو وتقبع في حجرتها المنعزلة محاولة أن تمنع أذنيها من التقاط الأغاني الوطنية من الشارع أو البيوت المجاورة. تحتفل مصر بذكرى النصر، بينما تجلس هي وحيدةً مع الذكرى.



تجلس في حجرته التي ما زالت على حالها كما تركها. تجول بعينيها، تبتلع أشياءه، ملابسه، كتبه، أقلامه، شرائط عبد الحليم، تراه أمامها وكأنه لم يرحل، تتوالى السنوات البعيدة كلمحات خاطفة، تراه مولودًا، ثم طفلًا، ثم غلامًا، ثم رجلًا، تسمع صوته الطفولي فيتبدل بصوت رجولي خشن طالما أحيأها. تُغمض عينيها فتندفع الدموع متحديّةً بوابات الجفون المغلقة، تنهمر في إصرار وكأنها تتولد من مصدر خفي لا يتوقّف، من قلب شوّهته الصدمة وأنهكته اللوعة وأثقلته رواسب

PDF Editor

الحزن المتراكمة.

تحتضن صورته وتُحدِّثه بصوت متهدِّج تكاد لا تسمعه وسط الـ

”وحشتني يا حبيبي، وحشتني يا نور عيني، وحشتني كل

فيك، وشك، صوتك، ريحتك، وحشتني صوت رجلتك وانت

السلم، وحشتني آجي أبص عليك بالليل وانت نايم، وحشتني هدو

في الغسيل، وحشتني أدخل أنشَف الحمام بعد ما تستحمي وأنف

الحوض بعد ما تحلق، وحشتني صوتك الصبح وانت بتقول لي فين الشا

يا ماما، وحشتني صوتك وانت بتغني مع عبد الحليم، وحشتني حضنة

وحشتني دقنك وهي بتشوكني، من ساعة ما سييتني قلبي اتخلع

رجعش مكانه تاني، لو كنت أعرف إنك هتروح مني ما كنتش سييتك..
ما كنتش...“.

∞

↑

↑

ينقطع صوتها المتهدِّج فتتوقف عن الكلام. لا تسمع إلا صوت بكائها

يتردد في أركان البيت الخالي، ويرتد إليها الصدى كألف صوت يشاركونها

اللوعة المؤلمة. تنظر إلى صورته في يديها من خلف ستار الدموع المنهمرة،

تحتضنها بعمق، تسمع صوتها:

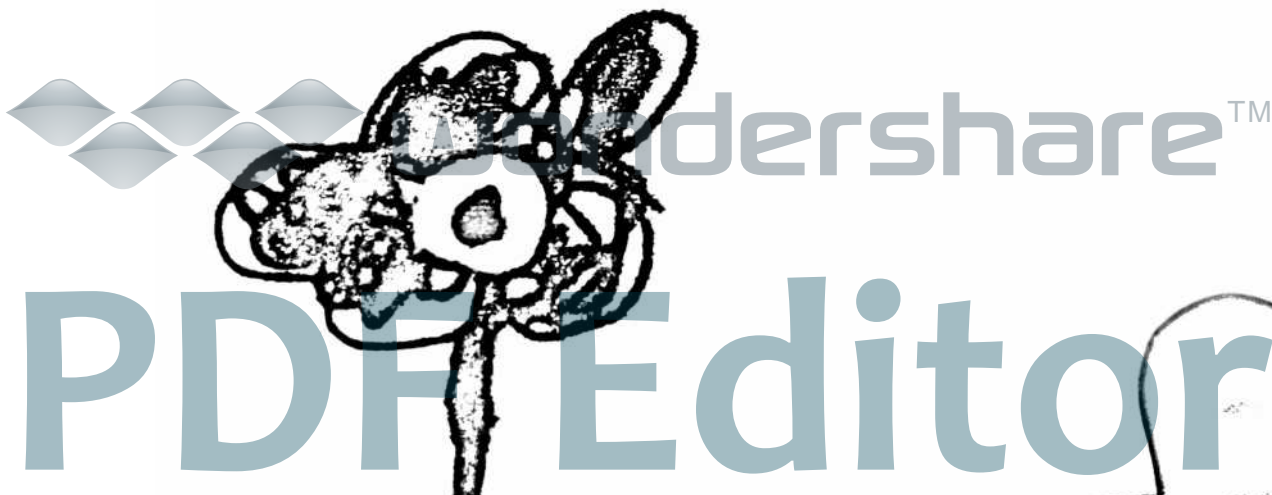
”نفسى أرجعك بطني تاني.“



wondershare™

PDF Editor

ال
ا
ع
ل



سفينة بلا شرع

الإسكندرية 1964

غادرت السفينة ميناء الإسكندرية، صوب الشمال، مُحمّلة بمختلف أنواع البشر. وحدها كانت تجلس في ذلك المكان الهادئ البعيد عن الناس، يمتد أمامها البحر الأزرق الهادئ، يحملها إلى هناك، إلى ذلك العالم الجديد، يُهددها لأيام، ثم يقذف بها إلى أحد شواطئ أوروبا، حيث المجهول بكل ما يحمل من غموض. جلست وحيدةً تحمل قلمها وبعض الأوراق، تكتب آخر رسائلها إليه، وهي على يقين تام أنها لن تصله.

↓ كان يجب أن أرحل، لم يكن هناك مفر من الرحيل، كان عليّ الهروب من مصر، ومن كل شيء، منك، من ذلك الحب الجارف الذي اعتصرني وأدمايني وتركني كتلك السفينة التي تحملني، تتقاذفها الأمواج ويصارعها البحر بلا رحمة. لكنني لست كهذه السفينة، فهي تعرف وجهتها، فهناك من يقودها ويسهر على حمايتها إلى أن تصل إلى بر الأمان، أما أنا فسفينة بلا شرع لا وجهة لي، وهل لي أن أختار مكانًا لأرسو فيه غير ذلك القلب الذي أحببني وانتزعني من حياتي السابقة بكل آلامها وأحزانها وأذاقني سعادةً لم أشعر بها من قبل، ثم تركني لهذا الألم اللا نهائي ولم يترك لي حلًا سوى الفرار.

PDF Editor

نعم فررت منك، من حبك، من كل شيء، فلن أستطيع المقاومة وأنت بجانبني. هناك سأعاني الوحدة والضياع والشوق إليك، لكن سيحميني البُعد عنك من هذا الكم الهائل من الذكريات التي كُنَّا نتفنن في خلقها وتذكُّرها وإعادتها، حتى باتت محفورةً في عُمرنا القصير كعلامة تُنير لنا مستقبلاً كان يبدو منطقيًا لقلبينا البريئين وعقلينا الساذجين وحياتنا البسيطة.



لم يبق لي إلا هذا القلم وهذه الأوراق تشهد آخر رسائلي إليك والتي أعلم جيدًا أنها لن تصلك.



أتذكر؟ منذ عدة أشهر كُنَّا نجلس في تلك البقعة النائية في الشاطئ، نرقب الأمواج في صمت، وذراعاك القويتان تُحيطان بي كمرفاً أمان لهذه السفينة التي طالما ذاقت الضياع والاضطراب حتى وجدتك، فكنت أنت المرسى والشاطئ. رفعت رأسي إلى وجهك الجميل:

- عارف يا أحمد؟ نفسي أكتب لك رسالة أقول فيها كل حاجة بحسها ناحيتك وأحطها في قزازه وأرميها في البحر، هناك بعيد عند الموجة اللي هناك دي. شايفها؟

- أيوه شايفها يا حبيتي. بس الرسالة دي هنكتبها سوا، أنا عارف إنك بتكتبي أحسن مني بكثير بس أنا برضه هحاول أكتب زيك، ونرميها سوا عشان اللي يقرأها يعرف إن كان فيه اتنين بيحبوا بعض أكثر من أي حد في الدنيا.

انهمرت دموعي بلا وعي وسط ابتسامتي، دفنت رأسي في ذلك المكان الحاني بين رقبتك وكتفك، فسرى في ذلك الشعور الرقيق بدفء داخلي، وقتها سألت الله أن يُبقيك إلى الأبد، في ذلك اليوم رحلت عني بقايا ذلك الخوف منك ومن حبي لك، فكانت شهادة ميلاد جديد لي. في ذلك اليوم عرفت السفينة أين سترسو وأين ستحتمي من العالم ببهاره التي طالما

نقاذفتها، هناك... معك.

لكن لم يتحقق ما طلبت، وها أنا الآن أكتب الرسالة... وحدي.
أفص على الأوراق نهاية هذا الحب الذي لم نزن أنه سينتهي. وحدي
أكتب رسالة لن تصلك، سيحملها البحر إلى المجهول، ستقاذفها الأمواج
العنيفة سنوات وسنوات، وقد تبقى في البحر تجوب معه، وتجرفها
تياراته القاسية، إلى ما شاء الله.

لقد توقفت دقائق عن الكتابة، طغى ذلك الطوفان المالح من الدموع
على رُوحِي الكثيبة فتركها تنهمر دون توقُّف، حتى انتهت نهاية أعلم
أنها مؤقتة، فقد أصبحت دموعي هي الرفيق الوفي الذي سيلازمني حتى
النهاية.

وها هو البحر يشهد ما بقي من هذا الحب، كما شهد مولده ونموه
السريع العنيف في قلبينا كشجرة غير مرئية تربط فروعها بين قلبين لم
يطلبنا شيئاً إلا أن يظلاً معاً. لقد شهد لقاءنا الأول وتلك النظرة التي
رمقتني بها والتي بدلت كل ما حولي، وجعلتني أقف كالمسحورة لا
أقوى على الحركة، جعلتني أشعر أن حياتي مربوطة بخيط قوي إلى
حياتك. شهد لقاءاتنا المختلصة وقبالاتنا المسروقة، وجلوسنا لساعات
طويلة ننهل من تلك السعادة التي لم نزن أنها ستنتهي. سنوات لم أر
منك إلا كل ما تحب المرأة أن ترى من حبيبها. لقد غفرت لي كل ما
كان من حياتي السابقة بكل ما فيها من اضطراب، نظرت داخلي كما لم
ينظر رجل من قبل، ورأيت كل ما كنت أخفي عن أنظار الجميع حتى
كدت أنسى من أكون، إلى أن ساقك القدر إليّ، وساقني إليك، وربطنا معاً
برباط لم تفرقه إلا الظروف.

ها هو البحر يحملني وحيدةً، دونك، إلى هناك، حيث لا أحد يعرفني،
هناك سأبدأ من جديد، وحدي كما كنت، دونك، تكفيني تلك السنوات
من السعادة، تُعينني على هذه الحياة المخيفة التي تنتظرنني خلف هذه

PDF Editor

الأمواج.

أعرف أنك ناقم عليّ، تتهمني بالضعف والتخلّي عنك.

لا تحزن يا حبيبي، فإذا لم يكن مُقدَّرًا لنا أن نحيا معًا هذه الحياة فإني موقنة أننا سنكون معًا في حياة أخرى مجهولة كتلك الحياة التي سأذهب إليها، سنحيا معًا في عالم آخر لا يحمل ضغائن البشر وجهود، البغيضة في إبعادنا، سننعم بحياة هادئة لها مذاق آخر، مذاق أبدي يعرفه البشر.

سأحيا ما بقي لي في هذه الدنيا، أقتات من تلك السعادة وأرتشذ من الذكريات التي أعطاني القدر قدرًا كبيرًا منها، سأظل أذكرك يا حبيبي كهذا البحر الكبير. تحملني كما يحملني الآن، لكن إلى مرفأ، وجدته قد فقدته، وسأحيا على أمل أن أجده مرةً أخرى.

لا تحزن يا حبيبي، فالبحر لا يحزن، إنه يحمل أهوالًا وبشرًا وكائنات لا حصر لها، لا يجمعها معًا إلا عدم قدرتها على الحياة إلا فيه، سيسوقني القدر إليك ويسوقك إليّ مرةً ثانيةً، وسنحيا معًا، وستبقى خالدًا داخلي أبديّ الوجود كحبي لك.

لا تخش عليّ، فأنا معتادة على الوحدة والضياع، اعتدت الإبحار بلا شراع، وأنت قوي لا تكسرك الأحزان ولا تهيبك الرياح. سأعود إليك يا حبيبي... سأعود.



wondershare™

شاطئ سانت مكسيم جنوب فرنسا 2010

PDF Editor

- أمي... انظري ماذا وجدت؟

- أرني يا صغيري.

- إنها زجاجة، يوجد داخلها شيء. هل نفتحها؟

- لنفتحها ونرى ما بداخلها، تبدو كأنها رسالة، إنها بالعربية.

- العربية! كيف عرفت؟ إنها كتابة غريبة.

- ربما علينا الذهاب بها إلى جدتك فهي تقرأ العربية، إنها لغتها الأم.

- أمي، وجدنا هذه الرسالة في زجاجة قذفها الشاطئ. هل تستطيعين قراءتها؟

لم تُجِب. قضت أربعين عامًا في ذلك البلد البعيد، أخذ منها الكثير، أنهكها وتركها كسفينة قديمة لا تقوى على الحركة، فقدت قدرتها على الكلام، فرقدت في فراشها لا تقوى إلا على استعادة الذكريات.

أخذت الرسالة بيد مرتعشة، لم تحتج إلى أن تفتحها، كانت تعلم ما ستجد داخلها، انهمرت دموعها في ضمت.

- حبيبي، اترك جدتك، إنها في حاجة إلى أن تستريح.

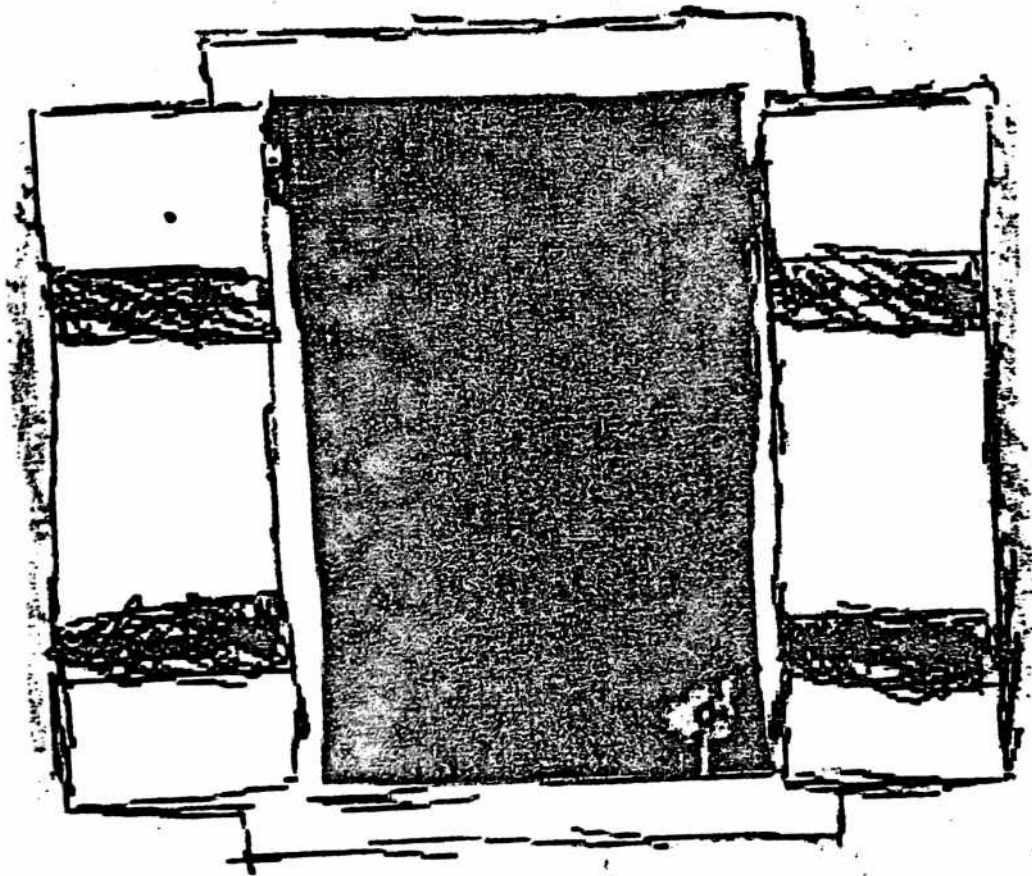
↓
٩٦ - جدي، أعرف أنك تسمعينني، هل من الممكن أن تخبريني ما في

تلك الرسالة؟ ما زلت تستطيعين قراءة اللغة العربية؟



wondershare™

PDF Editor



wondershare™

PDF Editor

شباك قديم

كانت مُوقنةً أنك ستعود. شيء خفي مجهول استقر داخلها وأعطاهما ذلك الأمل في عودتك، فظلت تنتظر. قضت سنوات طويلة تُطل من شباكها القديم، تنظر صوب البحر، تحرقها شمس الصيف فيتغير لون وجهها إلى سمار داكن. تُغرقها أمطار الشتاء فترتجف كنبته ذاوية. تهب عليها رياح الشمال فتتشبث بالإطار المتهالك وترفض الهرب من الذكرى. تنظر صوب البحر بعينين صامتين وشعر مُبعثر ووجه تجمّدت ملامحه، وكأنها لا تأكل ولا تنام ولا تتعب. تحوّلت جلستها إلى منظر معتاد، لا تحدّث أحدًا ولا ترى أحدًا، فقط تجلس وتنتظر.

قطنو الشارع والباعة والمارة اعتادوا رؤيتها طوال اليوم حتى ظنوها جزءًا من البناء، كتلك الوجوه الرخامية شديدة الدقة التي تزين واجهات البنايات القديمة. توقفوا منذ سنوات عن نسج الحكايات عن: مَنْ تكون؟ وماذا تنتظر؟ توقفوا عن التساؤل عن سر وحدتها وصمتها، وكيف تعيش تلك الحياة العجيبة دون أن تفارق النافذة، ملتصقةً بمجلسها، مُصوّبةً نظراتٍ نحو الأفق البعيد حيث البحر، ولماذا لا تحدّث أحدًا ولا تُجيب أي سؤال، ولا تتبادل تحيات الصباح والمساء!

وتعود... وحيدًا فقيرًا كما رحلت. تغيرت ملامح وجهك ولون شعرك ونظرات عينيك. تمر أيام دون أن تذكرها حتى تصل إلى تلك البقعة النائية من الشاطئ خلف الصخور، حيث تتواهب الأمواج ويعلو صوت... ترتطم ذاكرتك بصورها فتعود إليك تلك اللحظات في عنفوان

93

Wondershare PDF Editor

صبي لم يعد يلائم وهن جسدك ولا تجاعيد وجهك. تقضي أيامًا تبحث عنها، تسأل أهل المدينة دون جدوى، فلا أحد يعرف لها اسمًا ولا عنوانًا. تأخذك قدمك إلى ذلك الحي الفقير وتسمع أحاديث الناس عن تلك المرأة الغريبة وعن جلستها الطويلة وعن صمتها وانتظارها.

ويصبح الناس ذات يوم فإذا بذلك الشباك القديم خالٍ من ساكنته الغريبة، مفتوح تعبث به الرياح، لم يتغير فيه شيء إلا وجهها، الذي رحل.

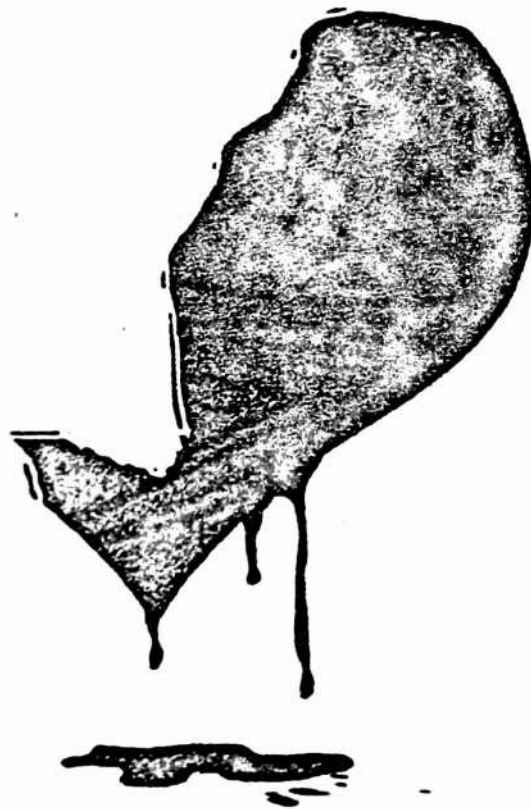
وحين تسأل عنها سيخبرونك أنها رحلت ولا أحد يعلم إلى أين. وحين تراها لا تتعجب ولا تسأل أين ذهب نور وجهها. فوحدهك تعرف لماذا قضت كل تلك السنوات تُطل من شباك قديم، تنظر صوب البحر غير عابئة بحرارة شمس الصيف ولا قسوة أمطار الشتاء. وحدهك تعرف ماذا كانت تنتظر.

٩٤
↑



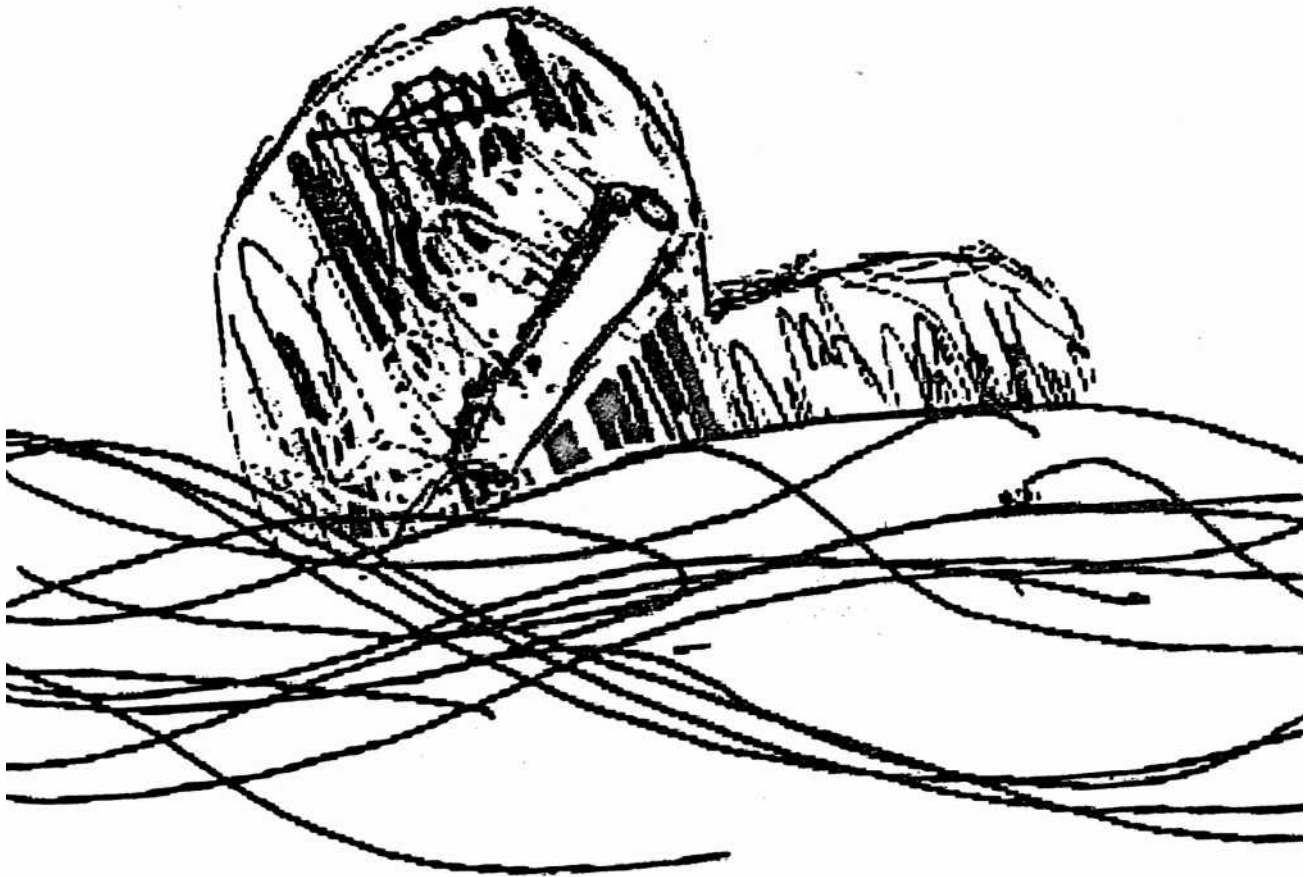
wondershare™

PDF Editor



wondershare™

PDF Editor



wondershare™

PDF Editor

محمد متولي

كائن بشري في هيئة رجل يحمل بداخله نبضات أنثوية لا تصمت، مولع بالنفس البشرية، يعشق المرأة حدّ التقديس، يشعر أحياناً بما قد يشعر به بعض الأشخاص فينتابه شغفٌ شديدٌ أن يسطر ما يشعر به في كلمات، ويدّعي أن أنجح علاقاته وأكثرها إشباعاً هي تلك التي يمارسها مع الكلمات. يسمّونه كاتباً، وهو لا يُفضّل المسميات المُعادَة.

عضو الاتحاد النسائي المصري.

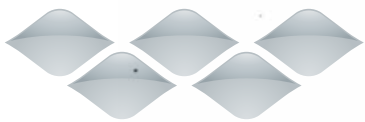
حاصل على جائزة المتكأ الثقافي في القصة القصيرة جدّاً لعام ٢٠١٢.
يكتب المقالات والقصص باللغتين العربية والإنجليزية.

صدر له:

مجموعة قصصية بعنوان «الرحلة»

يمكنكم متابعته عبر المدونة:

tulipinthedesert.blogspot.com



wondershare™

PDF Editor



في بلادنا يجب أن نخفي المرأة ويظهر الرجل..
في ديننا الرجل كنز والمرأة عورة..
في مجتمعنا تلام المرأة على خروج ادم من الجنة،
وفي ديننا أكثر أهل النار من النساء..
في مجتمعنا تلام المرأة حين تبدي جمالها فتسبب في الزلازل
والبراكين!
فماذا لو أبدت رغباتها؟
فأنا مقيدة بالف قيد.. تقاليد وعرف ونشأة ودين.
أشعر بكل ما تشعر به.. لكن ما تعلنه أنت أخفيه أنا.
لست لوح ثلج..
لكني امرأة في بلد الرجال!

